

إيسيسكو  
ICESCO

# أسرار البراعة في الشعر الصوفي المغربي المعاصر

إشراقات عرفانية في شعر أحمد مفدي

د. عبد الكريم الرحيوي



الرباط  
عاصمة  
الكتاب  
العالمية 2026

RABAT  
CAPITALE  
MONDIALE  
DU LIVRE

تقديم:

الأستاذ الدكتور محمد يعيش

منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو-

مركز الإيسيسكو للغة العربية الناطقين بغيرها





# أسرار البراعة في الشعر الصوفي المغربي المعاصر

إشراقات عرفانية في شعر أحمد مفدي

د. عبد الكريم الرحيوي



الطبعة الأولى  
1447 هـ - 2026 م



منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

شارع الجيش الملكي، حي الرياض، ص.ب. 2275، ر.ب. 10104  
الرباط، المملكة المغربية.

الطبعة الأولى: 1447هـ - 2026م

صاحب اللوحات:

Mr. Ahmad Saddouna Alli

© إيسيسكو

جميع حقوق إعادة الإنتاج والترجمة والاقتباس محفوظة.

لوحة الغلاف والأيقونات الداخلية:

Calligraphies réalisées par Ali-Caligraff, et publiées avec l'aimable  
autorisation de leur auteur: [www.ali-Caligraff.com](http://www.ali-Caligraff.com)

رقم الإيداع القانوني: 2026MO1025

الرقم المعياري الدولي للكتاب: 978-9920-480-48-2

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب هي آراء المؤلف ولا تعبر بالضرورة  
عن وجهات نظر الإيسيسكو ولا تلزمها في شيء.

التصميم والطباعة في الإيسيسكو

هذا المنشور متاح عبر رمز الاستجابة السريع أدناه:





# هَدَاءٌ

إلى ذلك النَّاسِكِ المَتَبِّئِلِ في مرتفعات الصحو،  
يبتهلُ في أفياءِ شجرته مُنشِداً:

وأنا ...!

كُنْتُ أَصْغِي لِخَرِيرِ المَاءِ عَشُوقاً

وَأُنِينِ الظَّامِئِينَ ...!

أنتقي منها خَوَابِي وَكُؤُوساً

في خيامِ العارفينِ ...!

فارتيمتُ في بحارٍ مِنْ صَفَاءِ المُدْرِكِينَ

ونسيْتُ ما مُرَادِي ..؟!

إلى قُطْبِ المحبين:

الشاعر الجميل.. العاشق المُجِبِّ:

أحمدَ مُفدي..

صَفَاءً وَوَفَاءً..



## تصدير

انسجامًا مع توجهات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في تعزيز البحث العلمي، وحرصًا منها على تنمية الإنتاج المعرفي في دولها الأعضاء، بالسعي إلى الانخراط المنهجي المستديم في مجال النشر العلمي؛ يأتي برنامج التميز البحثي في علوم اللغة العربية وآدابها الذي يطلقه مركز الإيسيسكو للغة العربية للناطقين بغيرها، ضمن مبادراته في مجال اللغة العربية وآدابها؛ ليفتح مسارًا علميًا يروم استكناه مناطق الدهشة في الإبداع العربي المعاصر، والإنصات العميق إلى نبض اللغة وهي تعيد صوغ ذاتها وفق تجربة علمية وروحية وجمالية متميزة.

وبمناسبة الاحتفاء باختيار منظمة اليونسكو للرباط عاصمة عالمية للكتاب لسنة 2026 جاءت فاتحة برنامج التميز البحثي في علوم اللغة العربية وآدابها؛ إصدار كتاب «أسرار البراعة في الشعر الصوفي المغربي المعاصر: إشراقات عرفانية في شعر أحمد مفدي»، للباحث الدكتور عبد الكريم الرحيوي، من المملكة المغربية، الذي أبحر بنا في محيط الشعر الصوفي المغربي المعاصر لأحد أعلامه المبرزين، وهو الشاعر أحمد مفدي، وقد جاء هذا الاختيار موفقًا؛ لما يحمله من كثافة رمزية، وثراء دلالي، وقدرة فريدة على وصل التراث بالراهن، والذوق الجمالي بالمعرفة العرفانية.

يعنى هذا الكتاب بالكشف عن أسرار البراعة في هذا الشعر، بوصفها زخرفًا لغويًا ومهارة أسلوبية، ولأنها ثمرة تجربة وجودية ومعرفية عميقة تتجل فيها اللغة وسيطًا للكشف، والشعر أفقًا للمعنى، والرمز الصوفي أداةً للعبور من ظاهر القول إلى باطن الإشارة، ومن ثمر يُقدّم شعر أحمد مفدي أنموذجًا إبداعيًا مميّزًا، تتلاقى في نصوصه حرارة الوجدان، ودقة الصياغة، وإشراقات العرفان.

إن تجليات أحمد مفدي الشعرية لا تُقرأ قراءةً انطباعية عابرة، بل تستدعي مقارنة نقدية واعية، تستحضر مرجعيات التصوف المغربي، وتستنتق البنية اللغوية والإيقاعية والرمزية للنص، وتكشف عن كيفية صوغ المعنى الصوفي في سياق معاصر يتفاعل مع أسئلة الذات، والهوية، والوجود، فالشاعر لا يُكرّر خطابًا صوفيًا موروثًا، بل يعيد إنتاجه شعريًا بلغة شفيفة، ورؤيا منفتحة، وتجربة تتوسل الشعر طريقًا للمعرفة.

والمطمح من هذا الكتاب أن يكون إسهامًا علميًا في حقل الدراسات الأدبية واللغوية، وجسرًا بين البحث العلمي والذائقة الجمالية، وأن يفتح أفقًا جديدًا للتفكير في الشعر الصوفي المغربي المعاصر، بوصفه خطابًا حيًا قادرًا على التجدد والإبداع، وكذا المؤمل أن يكون هذا العمل باكورةً واعدةً لسلسلة علمية تحتفي بالبحث الرصين، وتُكرّس قيم التميز، وتؤمن بأن اللغة العربية وآدابها ما تزال تخزن طاقات لا تنفذ من الجمال والمعرفة.

مركز الإيسيسكو للغة العربية للناطقين بغيرها

25/ مارس/ 2026، الرباط - المملكة المغربية



## تقديم

بقلم: الشاعر والناقد الأستاذ الدكتور محمد يعيش  
أستاذ التعليم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

شرفني الأستاذ الدكتور عبد الكريم الرحيوي، بأن أسند إليّ أمر تقديم هذا الكتاب. ولعل له في صنيعه هذا أسباباً منها معرفته بانشغالي بموضوع الأدب الصوفي، وحرصه على تمكيني من فرصة التعبير عما يعلم أني أحفظ به، في حق شيخنا الأستاذ الدكتور أحمد مفدي إنسانا ومبدعا ومناضلا.

وكما سيلاحظ القارئ الكريم، فإني لم أُرِدْ بالأساس تكثيف أفكار هذا العمل على سعته، ولا تقريظه مع أنه جدير بذلك، ولا توجيه قراءته بالقدر الذي قد يؤثر في استقباله وتلقيه. لقد اخترت الاشتباك إيجابيا مع مقولته الرئيسة التي تخاطب وعي القارئ المسكون بالسؤال، والمنفتح على الاحتمال.

وأودّ قبل ذلك أن ألفت القارئ الكريم إلى أن الأستاذ الدكتور عبد الكريم الرحيوي، احترف قراءة شعر أحمد مفدي، ودأب على روايته، والتمثّل به كلّما احتاج إلى شاهد.

ولقد تأتّى له ذلك بحكم ملازمته إياه في أكثر أوقاته، ومرافقته له في جل أنشطته، وانفراده بالاطلاع على ما لم يتيسر لغيره من كتاباته.

ولقد شاء أن يعلن عن ذلك في هذا الكتاب بقوله: «درستُ شعر أحمد مفدي ورويته، واستنشدته من صاحبه وأنشدته في المحافل، واستشهدتُ به في المواقف المختلفة، وفي أحوال النحو والبلاغة والإيقاع... شاهداً ومشهوداً ومثلاً...».

وناقدُ بهذه الصفة، وعميقِ هذه المعرفة، لا يمكن إلا أن تتسع رؤيته ورؤياه، وتنعكس على مبناه ومعناه.

لذلك بدا في هذه الدراسة بهاءً لغّة القوم، وشعاعُ الدائرة الخاصة، وبريقُ حال التلوين.

إنها قراءة عالمة عاشقة. وأي علم بلا عشق!

فإن تقرأ علوم الناس ألقابلا \* عشقي فما حصلت حَرْفًا  
فريد الدين العطار

ثم إن العالمَ إذا صاعَ فكرةً كان إضافة، والعاشقُ إذا رأى زهرةً كان فراشة.  
ولقد تَوَحَّدَ العالمُ والعاشقُ في شخص الأستاذ الدكتور عبد الكريم الرحيوي.

لقد أيقظ روحانية الشعر من حيث اشتغاله بما هو جوهري، وواقعي وموضوعي. ثم تماهى معه في قراءة متواطئة لا تنفي انحيازها. وبارك قدرة الحدس الصوفي على مشاكسة العالم، من خلال فك الارتباطات الإسنادية التقليدية في اللغة.

بعد ذلك بدأ يكشف بعض أسرار الحروف اعتماداً على مرجعيات تراثية، تمهيداً لتبيين كيفية تشغيلها، وتوظيف رمزيها من خلال نماذج شعرية منتقاة. ثم عاين بعد ذلك أحوالاً للشاعر ومقامات، ركز فيها على تيمة الحب وموضوع الوطن، لينتقل إلى البحث في ما سماه بالقصيدة- الديوان، أو الديوان- القصيدة.

وقد ختم الناقد دراسته بالوقوف على علامات مفصلية في سيرة الشاعر ومسيرته، محفوفة بأزاهير من دواوينه لمن غاب عنه الشاهد.

وفي ذلك كله، تميّز الناقد بالسعة في النظر، والدقة في التحليل.

وإن كان من شيء تأخذه به قراءة مخالفة، فهو التأسيس على تأويلات القدماء لخواص الحرف وخصائصه في تحليل نص حديث. والثقة فيها في مقاربة التوظيف الخاص في كل نص، والقراءة على ضوءها لمختلف الأشكال الانزياحية في كل تجربة. هذا بالإضافة إلى اختصاره فيما قد يوّد القارئ لو كان أطال.

ولعلّ ما صنّ به اليوم، قد يوجد به غداً، لامتلاكه الرؤية الواضحة والأداة.

لقد كشف الأستاذ الدكتور عبد الكريم الرحيوي في هذا الكتاب عن «أسرار البراعة» في شعر أحمد مفدي، بعد أن بحث من قبل عن «دلائل الإبداع» في منجزه الشعري والنقدي بشكل عام.

وأكد أجزم بأنه في اختياره هذين العنوانين، كان يستحضر «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني.

ولعله ما لجأ إلى ما لجأ إليه إلا لخضوعه لِقَهْر النص الأحمدي، ووقوعه في جَرَجِه، بما هو قَلْبٌ واضطراب، وأرْضٌ وعرة ذات حجارة.

وإني لأحمد فيه اقتحامه لأرض صعبة المرتقى كأداء مَخُوفَةٍ بدون دليل.

كما أحمد فيه صبره على تطوافه حول عشرين ديواناً «عَجَمَت حروفٌ معجمها على الناظر فيها معناها»؛ لأن «الحروف كالطبائع، وكالعقاقير... لها خواص بانفرادها، ولها خواص بالتركيب»، كما ذهب إلى ذلك ابن عربي.

من ثمة فإنها كانت تحتاج إلى متخصص في كيمياء اللغة مثله، قادرٍ على تحليل تفاعل عناصرها التي حوّلت فِلِزَّات المعنى إلى ذهب.

إنّ هذا الكتاب دلّنا على مَجْمَع بَيْن السُّعْر الحقيقي، والحقيقة الشعرية، حيث عند صَخْرَتِهِ قد يتخذ المعنى في البحر سَرَبًا، فَتَتَصَاعَفُ المسغبةُ الروحيةُ والجوعُ الجواني.

وإذا كان الدارُسُ جذبُه فيه انخطأفُ، واعتراه أحيانًا شَدَه، وانتابه وجومٌ؛ فلأن منبع الأدب الصوفي أغزر من أن يسعه مجرى؛ ولأن لَيْلِكَ الأَبْجِدِيَةِ البِيضَاءِ يتسلَّقُ من طبعه الجدرانَ العالِيَةَ.

أحمد مفدي المناضل الكبير أُوَانَ كانت الكتابَةُ الصوفية تُرمي بالدروشة، وتنويم الوعي النقدي، وتخدير الحواس الخمس، رَفَعَ صَوْتَهُ فأسْمَعَ، وَصَدَعَ فأوجَعَ. فكان أن أَجْهِضْتُ قصيدته ولمَّا يَكْتَمَلُ حَلْفُهَا فِي رَجْمِ المِطْبَعَةِ، وَلَمْ يَسْأَلْ أَكْثَرَ من مخلص، وَمُخَّ لِيَصَّ: بأيِّ ذنبٍ قتلت؟!

أحمد مفدي الشاعر الصوفي لم يَدْرِ به أحدٌ حين كَسَرَ كرسِيَّ الياءِ في سره وعلنه. أحمد مفدي لم يكن يقولُ: لي، وبي، وعيِّي، ولدي... لأن كرسِيَّ الياءِ الدَّوَارُ داعٍ إلى العُجْبِ، والعُجْبُ لا يسكن قلبَ شاعرٍ جرى في نُسْغِهِ الإلهام.

أحمد مفدي الإنسان العميق أنصفته السياسة، وظلمه النقد الأدبي، أُوَانَ انخدع هذا النقد بالصوت الإيديولوجي، والانتماء العشائري، ضدًا على قيم النص، والطاقة النوعية، والبهجة الروحية، والإقامة الجوهرية، والأبجدية المطهَّرة.

لذلك فيأني أعتبر هذه القراءة ذات قدرة نصية، وكفاءة ذوقية، من حيث لم يجعل الموضوعية الباردة قُفَّارًا حديدًا يضغط على نص أبيض ناعم، يجري فيه دمٌ من نوع نادر. وليتجاوز عني القارئ الكريم إذا قلت في حق هذا الشاعر الكبير وقد انسَدَّت في حضرته أمامي طرق القول:

أَكَلَّمَا صار يَحْدُو النَّاسَ مِنْ أَمَلٍ \* يَكُونُ أَحْمَدُ مُفْدِي مَضْرِبِ الْمَثَلِ  
مَا دَثْبُهُ الْمَرَّةُ إِذْ عَمَّتْ مَخَاسِنُهُ \* قَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ كُلَّ الْحُسْنِ فِي رَجُلٍ

محمد يعيش

فاس في: 10 يناير 2026



## مقدمة الكتاب

أصدرنا في عام: 2018م كتاب: «دلائل الإبداع»، قارَبنا في ثناياه إبداعات أحمد مفدي الشعرية والنقدية، وتوصلنا إلى نتيجة مُفادها أنَّ الشاعرَ أحمد مفدي يشكّل «مدرسة قائمة بذاتها، مِن ارتادها ودخل عوالمها ودرج بين أساطينها، تَخَرَّج وهو على مُسكة عظيمة من المَلَكات، وزاد غير محدودٍ من المعارف والمهارات.. إذ المنهلُ صافي، والمورد فيضٌ عذبٌ زلال!!»<sup>(1)</sup>.

واليوم، ومع طلائع عام 2026م؛ نعود لنُلاقِي القراء في المغرب والوطن العربي الكبير بكتاب: «أسرار البراعة»، نقرأ فيه الخطاب الصوفي الشعري المغربي، متخذين من هذا الشاعر أنموذجًا حيًّا للفحولة المغربية؛ إذ إنَّ شعْرَهُ خمائلٌ صوفيةٌ وأنداءٌ عاشقةٌ، تعرجُ في سرادقاتِ هذا الكونِ محبَّةً ورضًا، وحيرةً وجنونًا.. نُشَدانًا لُطهرانيةِ الذاتِ ونقاءِ الروح..

وعطفًا على ذلك؛ يتملُّكُ الخائضُ في أوراِدِ شعرِ أحمد مفدي تلبُّسٌ عرفانيٌّ واستغراقٌ وُجوديٌّ، ينقلُهُ إلى مقاماتِ الشُّهُودِ والمُشْهُودِ، والحبیبِ والمحجوبِ؛ حيثُ تسمو الذات، هنالك، في أفلاكِ الصُّفو ومَداراتِ المَحْوِ.

وإدراكًا للمُخرجاتِ التي تتسبَّبُ تحقُّقها من وراء هذه الدراسة النقدية؛ فإنَّ منهجية البحث قادتنا إلى ارتضاءِ الخُطَّةِ الآتية:

**مقدمة** تَصعُح الكتاب في سياقهِ البحثي، وتُجَلِّي الإضافات النقدية التي تُغني بحثَ الخطابِ الصوفي الشعري المغربي المعاصر.

ثم **ثلاثة فصول** تتناول دراسة أسرار البراعة في الشعر الصوفي لدى أحمد مفدي:

الأول مخصَّوصٌ لمقاربة أسرار الحرف الصوفي وبراعة الإيحاء العرفاني في شعره، وهو الموضوع الذي استوعبته المباحثُ الفرعية الثلاثة التي تنضوي تحته؛ إذ اختصَّ أول تلك المباحث بالنظر في إشارية الحرف في الخطاب الصوفي، وانزوى ثانيها لتتبع أسرار الحروف في شعر أحمد مفدي، لينفرِدَ آخرها بتقني الملامح الجمالية لأسرار براعة أحمد مفدي في بناء نصوصه الشعرية الصوفية فنياً وأسلوبياً.

وأما الفصل الثاني فانتَبَرى لاصطحاب الشاعر أحمد مفدي وهو يسبَّحُ في مقاماته وأحواله، ويسري في أعراش شفوهِه الصوفية؛ هذا السُّمُوُّ الوجوديُّ جَلَّتْهُ ثلاثة مباحثٍ أيضًا: أحدها عَرَجَ على المقامات الصوفية لدى أحمد مفدي بين الرضا والجنون، والآخر نَظَرَ إلى كينونة

1- دلائل الإبداع (أبحاث في إبداعات أحمد مفدي الشعرية والنقدية). د/ عبد الكريم الرجويي. (نُشر بدعم من وزارة الثقافة المغربية). دار الأمان، الرباط- المغرب. ط1: 2018م. ص: 6.

الوطن باعتباره مقامًا صوفيًا في شعره العرفاني، والأخيرُ تَلَقَّى القصيدة الشعرية الصوفية التي أفرَدَ لها الشاعر أحمد مفدي ديوانًا كاملًا، أو أكثر من ديوان، أحيانًا؛ وهي سِمَةٌ إبداعيةٌ أصبحَ بها الديوانُ قصيدةً، والقصيدةُ ديوانًا، فكان لابد من ملامستها نقديًا، وقياسِ درجةِ شعريةِ الشفوفِ الصوفي في كينونتها الإبداعية.

ثم أغلقنا بابَ هذا الكتاب بفصلٍ قَرَّبْنَا في مبحثٍ منه، إلى المتلقِّي، شخصيةَ الشاعر أحمد مفدي في سيرته الذاتية ومسيرته الإبداعية، وفي مَبْحَثٍ ثانٍ قَرَّبْنَا هذا القارئ من بعض الإشراقات الشعرية الصوفية التي اخترناها من بعض دواوينه، وأوجزنا تلك الاختيارات في ثلاثة فقط، ثُمَّ كُنْ مَنْ تَعَدَّرَ عليه تأمينُ دواوينه إنشادَ نماذجٍ منها، أو مقاربتها نقديًا وفق ما يشاء من زوايا التلقِّي المتاحة.

والفُؤْلُ **خاتمةٌ** أجمَلْتُ ما انفصل، وربَّعْتُ ما انفتَقَ في ثنايا الكتاب.

ولعلِّي أكون قد أسديتُ، بهذا المؤلَّف، عِزْفًا لأدبنا المغربي المعاصر الثَّرِي، وللشعر منه بخاصة؛ إذ الشعر المغربي إبداعٌ نقيٌّ ورائق، وبيدعٌ وصادق... والشاعر أحمد مفدي نموذجٌ لهذا النقاء الفني، والارتقاء الدُّوقي.. ولأجل ذلك نجد شعره أوردًا في سُبْحَةِ السالكين الصادقين، وأصفادًا في أيادي الجبناء المارقين، وترياقًا لطُهرِ الدَّواتِ وصفاءِ الأرواحِ في مقاماتِ العاشقين.

وعلى هذا الأساس تَحَيَّرْنَا هذا الشاعرَ الطَّلانعيِّ مُمَثِّلًا لجيلٍ من شعراء المغرب الكبار، الذين اتَّسم زمانهم بسيقاتٍ تاريخيةٍ وإيديولوجيةٍ وسياسيةٍ خاصة، سواءً أداخل الوطن أم في البلاد العربية ككل، بما في ذلك التَّكباتِ والصراعات وما ترتَّب عنها من شتاتٍ وتهجيرٍ وهزائمٍ ونكسات... عَصَّتْ بها أنفُسُ هؤلاء الشعراء جَمْرَةَ حَرَّى، واستوعبتُها قصائدُهم الشعريةُ قِوافي تَثْرَى؛ فانفَجَرَتْ -أحيانًا- رَفْضًا وَعَصَبًا، وثورةٌ ومقاومةٌ؛ وأحيانًا أخرى، تَوْسَلًا وتبَسُّلًا، وتلبُّسًا بأحوالِ الشفوف ومقاماتِ العرفان..

ومن بعض هؤلاء الشعراء الذين جايلوا شاعرنا، أو سبقوه برجحِ زمنيِّ قليل، فتَسَرَّبُوا ما تَسَرَّب وتَأَثَّرُوا ما تَأَثَّر، نذكر: محمد الخمار الكنوني، محمد الميموني، عبد الكريم الطبال، أحمد المجاطي، محمد السرغيني، إبراهيم السولامي، عبد الرفيح الجواهري، أحمد الطريقي، حسن الأمراني، محمد الرباوي، محمد الطوي، محمد بنطلحة، أحمد بلحاج آيت وارهام... واللائحة تطول، ولا يَعْرُبُ عن قَمَّتِها الشاعر الجهدُ أحمد مفدي، سواءً أَمِنَ حيثُ عدُّ الدواوين التي أُنْرى بها الساحة الإبداعية بالمغرب والعالم العربي، أم من حيثُ الفحولة الشعرية والإشراقات الصوفية التي تتطوي عليها، وكذا الرُّؤى والتبُّوات، والأبعاد الإيحائية والإشارات الاستشرافية..

وفي نهاية هذه المقدّمة وَجَبَ تقديم أسمى عبارات شكري للأستاذ الدكتور سيدي محمد يعيش، الذي حَصَّ هذا الكتاب بالتّقديم والتّقريظ، فَجَلَّ بعضَ حَسَنَاتِهِ، وَأَبَانَ عن شذراتٍ من إشراقاته..

كما أتقدم بأطيب معاني الشكر والامتنان، وألطف مشاعر التقدير والعرفان، إلى منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو- ممثلة بمديرها العام المحترم معالي الدكتور سالم بن محمد المالك، وكذا جميع هيئاتها التنفيذية والاستشارية والإدارية، لموافقتهم الكريمة على نشر هذا العمل وتقديمه إلى القراء في أبهى حلة وأجمل إخراج، ولَجْعَلِ هذا الكتاب فاتحة برنامج التميّز البحثي في علوم اللغة العربية وآدابها، وهو البرنامج الرائد الذي أطلقته المنظمة لتعزيز أسس البحث العلمي واستدامة الإنتاج المعرفي إبداعًا ونشْرًا.

هذا والحمدُ لله دومًا على جميلِ نِعْمَاتِهِ.. والصلاةُ والسَّلَامُ سرمدًا على خيرِ مبعوثيه وأنبيائه..

**د. عبد الكريم الرجوي**

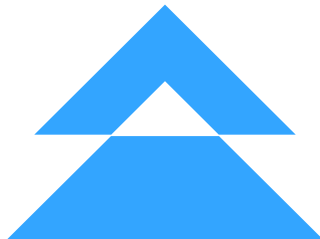
فاس، المملكة المغربية

16 رجب 1447 هـ / 05 يناير 2026 م



# الفصل الأول

أسرار الحرف الصوفي وبراعة الإيحاء العرفاني





## بِسَاطٍ

أنطلق في هذه الفصل من وحي ثلاثِ إشارات عميقة صَمَّتَهَا الشاعر أحمد مفدي شعره،  
الأولى في قوله<sup>(1)</sup>:

أَتَحْمِلِي قَدَمَائِي...؟

وَأَنَا التَّائِهَةُ أُبْحَثُ بَيْنَ ظِلَالِ الأَحْرَفِ عَن مَسْعَائِي...!

والثانية في إنشاده<sup>(2)</sup>:

لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ...!

سِر (الكاف) عِدَاةَ التَّيْنِ لَقُلْتُ سَلَامًا...!

والثالثة في قوله<sup>(3)</sup>:

قَدْ أَعْتَرَفْتُ... أَنِّي لَا أَعْرِفُ لَمَّ حُرُوفِ الهَيْجَاءِ...!

لَا أَعْرِفُ أَنْ أَقْرَأَ حَرْفًا مَضْلُوبًا فِي قَرِيْبَةِ ماء...!

لَكِنْ قَدْ أَعْرِفُ رَسْمَ سَوَارِي الصَّفْوِ شُمُوسًا وَبِحَارًا.. وَسَنَاءً...!

فأجعل هذا الفصل مُجَزَّءًا إلى ثلاثة مباحث:

**الأول:** في إشارية الحرف في الخطاب الصوفي؛ وضمنه الخطاب الشعري المُفَدَوِيّ.

**والثاني:** في أسرار الحروف في شعر أحمد مفدي؛

**والأخير:** في بعض الخصائص الفنية والأسلوبية.

فأقول، بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

1- ديوان: الوقوف في مرتفعات الصحو. أحمد مفدي. منشورات عيون، المغرب. ط2: 2018م. ص: 15-16.

2- ديوان: القُطْمَاء. أحمد مفدي. مطبعة وراقة بلال، فاس. ط1: 2018م. ص: 151.

3- ديوان: صهيل العشق. أحمد مفدي. البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، المغرب. ط1: 1986م. ص: 105.



## المبحث الأول

إشارية الحرف في الخطاب الصوفي



## تمهيد

الحرف سلطان اللغة وأصل الفصاحة فيها، ورأس البلاغة وأساس الإبانة بها؛ ولو كان الأمر على خلاف ذلك لتجانست المتنافرات وتآلفت المتباعدات، ولما أكدى اللسان في ترجمان بعض الكلم نطقاً؛ بل ولما كان للحديث عن البيان لدى أهل الصناعات محل!

وإنه حين نعتت القدامى البلاغة فقالوا «لمحة دالة»<sup>(1)</sup>؛ فإن ذلك تَكْنِيَةٌ عن بديع الإشارة، وعن تأدية المعاني الكثيرة بما قَلَّ من ملفوظِ العبارة. وإنه بموجب هذا تَرَبَّعَ الحرفُ عرشِ السُّلْطَنَةِ، وأمسك أَرْزَمَةَ الإيحاءِ والرموز والمجازات، يُوجِّهُ أَعْيَنَةَ الدلالةِ حيثُما اتَّفَقَ، ويقودُ سَفائنَ التأويلِ إلى مرفأِ الحقيقةِ يُيسرُ، كراهةِ الضلالِ والزيغِ والإساءةِ. والمرجعُ في ذلك «أنَّ العلم بالحروف مقدَّمٌ على العلم بالأسماء تقدُّمُ المفرد على المركَّب، فلا يُعرَفُ ما ينتجُه المركَّب إلا بعد نتيجة معرفة المفردات التي تركَّبَت منها»<sup>(2)</sup>.

هذا، وإنَّه لَمَّا استأثَرَ الحَرْفُ لنفسه بهذه الهالةِ من الحكمة، وتملَّك لذاته هذا الوُسْعَ من التأثيرِ على وجوه الكلام؛ صارَ لزاماً أخذه بالتظنُّر والاهتمام، والدُّنُوُّ منه بالبحثِ والنقدِ وما يترتَّب عن ذلك من الأحكام.

ولقد تَحَيَّرْتُ لهذه الغاية مَثَنًا إبداعياً متكاملًا، لشاعرٍ معاصرٍ أَحَلَّ الحروفَ مَحَلًّا رَفِيْعًا، وَحَمَلَهَا عِبْئًا ثَقِيْلًا، إيمانًا منه بأنَّ العباراتِ إذا ضاقت بِحَمْلِ شِساةِ الرُّوْيا، حملتها الحروفُ! وهو الشاعرُ المغربيُّ أحمدُ مفدي، إذ شعره صوفيٌّ عرفانيٌّ مُتَمَلِّئٌ بالإشاراتِ والإيحاءاتِ، وبالرموزِ وصورِ المجازاتِ.

## الحروف حتوف:

نَصْدُرُ هنا من قولِ شاعرٍ، وقد أحكم<sup>(3)</sup>:

رَأَيْتُ الْكَلَامَ يَزِيْنُ الْفَتَى \* وَالصَّمْتُ خَيْرٌ لِمَنْ قَدْ صَمَتْ  
فَكَمْ مِنْ حُرُوفٍ تَجْرُ الحُتُوفَ \* وَمِنْ نَاطِقٍ وَدَّ أَنْ لَوْ سَكَتْ

1- إعجاز القرآن. الإمام الباقلاني. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان. ط4 (د.ت). ص: 113.

2- سر الحروف. محي الدين بن عربي، رسالة ضمن كتاب: (رسالتان في سر الحروف). تقديم وتحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان. المكتبة الأهلية للتراث، مصر. ط2: 1426هـ/2005م. ص: 15.

3- تظنر: الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري. تحقيق: معروف مصطفى زريق. المكتبة العصرية، بيروت- لبنان. 2011م/1432هـ. ص: 121.

فَقَرُّ بِأَنَّ الصُّوفِيَّيْنَ أَمِيلٌ إِلَى الصَّمْتِ وَأَجْتَحُّ لِلإِشَارَةِ، يَلُوْخُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُصَرِّحُونَ، وَيَلْمَحُونَ أَشَدَّ مِمَّا يُوضِّحُونَ! وَهَمَّ فِي هَذَا يَعْتَدُونَ بِالحُرُوفِ أَوَّلًا، فَالْأَلْفَاظُ تَبَعًا، ثُمَّ العِبَارَاتُ مُنْتَهَى. وَكَلِّمًا أَبْلَغُوا المَعْنَى بِأَقْلٍ مَنطُوقٍ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمُ البَيَانَ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمُ بَحْسَابَانَ. وَعَلَى ذَلِكَ تَبَّتْ أَنَّ «الْخَطَابَ بِالكَلَامِ مُتَنَزِّلٌ إِلَى أَدْنَى رُتَبِ البَيَانَ، وَالخَطَابُ بِالكَلِمِ أَخْفَى مِنْهُ، وَأَجْمَعُ، وَالخَطَابُ بِالحُرُوفِ فِي أَعْلَاهُ [...] لَهَا مِنْ مَوَاطِنِ الإِيمَانِ إِشَارَةٌ، وَلَهَا فِي المَعْقُولَاتِ وَالمَحْسُوسَاتِ آيَاتٌ»<sup>(4)</sup>.

ولأجل ذلك فَ «الحرفُ تراثٌ، والتراثُ لغةٌ، واللغةُ تاريخٌ ومعنى»<sup>(5)</sup>. والشاعر الصوفي وإع كلِّ الوعي بهذه القاعدة، ولا يشدُّ عنها في شطحاته الصوفية، وفي تواصله مع المحبوب ومع ذاته ومع مرديده؛ ومن هنا بات الحرفُ-من بابِ أُولَى- «اسمًا للحقيقة»<sup>(6)</sup>، وياتِ أهلهُ وخاصُّتهُ أهلُ «الحرفِ الباطن»<sup>(7)</sup>؛ لأنه «علمٌ يهدي إلى حقيقة»<sup>(8)</sup>؛ ولأن «الحروف الباطنة هي تلك الأربعة عشرَ حرفًا التي ذكرها الله في القرآن الكريم في أوائل السور، وهي التي أعطى الله سرها نبيِّنا محمدًا ﷺ وأطلعَهُ على ما سبَّبها»<sup>(9)</sup>. فتلك الحروف الأربعة عشر التي جعلها الله تيجانًا للسور التي افتتحت بها هي «حروف الحقِّ العُلا» وبقية الحروف الأربعة عشر هي «حروف الخلقِ الدُّنا»<sup>(10)</sup>، فكانت الأولى حُرُوفًا نورانيَّةً، وحُرُوفًا للسعود، وكانت الأخرى حُرُوفًا ظلاميَّةً، وحُرُوفًا للنحوس.

إدًا، «العلمُ من وراء الحروف»<sup>(11)</sup>، وهو علمٌ شريفٌ ومَرَامٌ لطيفٌ، يَصْدُقُ فِيهِ قولُ ابنِ عربي<sup>(12)</sup>:

إِنَّ الحُرُوفَ الَّتِي فِي الرِّقْمِ تَشْهَدُهَا \* لَهَا مَعَانٍ وَأَسْرَارٌ لِمَنْ نَظَرَ  
عِلْمُ الحُرُوفِ شَرِيفٌ لَا يُقَاسُ بِهِ \* عِلْمُ الكِيَانِ لِمَنْ قَدَّ جَدُّ أَوْ سَخَّرَا

4- المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات. الشيخ محي الدين بن عربي. تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1427هـ/2006م. ص: 47.

5- الحروفية والحروفيون. محمد أديب السلاوي. البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع- القنيطرة، المغرب. ط1: 1998م. ص: 93.

6- لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام. الكاشاني. صححه وعلق عليه: مجيد هادي زاده. الناشر: ميراث مكتوب. المطبعة: مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران- إيران. ط1: 1379هـ/2000م. ص: 233.

7- المواقف والمخاطبات. الثُّمَرِي، محمد بن عبد الجبار. تحقيق: آرثر أربري. تقديم وتعليق: د/ عبد القادر محمود. الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1985م. ص: 183.

8- نفسه.

9- ابن مَسْرَةَ الفيلسوف الزاهد. إعداد: الشيخ كامل محمد عويضة. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1414هـ/1993م. ص: 50.

10- تفهيم معاني الحروف المسماة: مواد الكلم في السنة جميع الأمم. أبو الحسن الحرَّالي. رسالة ضمن كتاب: (رسالتان في سر الحروف). مصدر سابق. ص: 55.

11- المواقف والمخاطبات. ص: 179.

12- ديوان ابن عربي. شرحه: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1416هـ/1996م. ص: 297-298.

ولأجل ذلك وَجَبَ الحِدْرُ في دراسة أسرار الحروف في الشعر الصوفي؛ لأنَّ الحروفَ فِخاخٌ وحُتوف، لا تُؤْتَمَنُ أشراكُها ولا تُضَمَّنُ مَسالِكُها. ولوعي الشاعر أحمد مفدي بهذا كله صَدَحَ في مَجْمع الشعراء يوصيهم، قائلاً: «للحرفِ مقامُه وجلالُه، فتواصُوا به، أيها الشعراء، حَيْرًا»<sup>(13)</sup>، مقتنعًا تمام القناعة بأن «الشعرَ لغةُ الإشارة والاستعارة والمجاز، ومحاكاة النور والبهاء، تُنيرُ المسالك وتبني ما تَرَدَّدَم، بالإشارة، من صفاء لغةِ العاشقين المتصيين السامقين، خارجَ لغةِ العبارة»<sup>(14)</sup>.

الشاعر أحمد مفدي يحرصُ على توجيه متلقِّي شعره إلى أنه بإزاء شعر الإشارة وليس شعر العبارة، وهنا لا مِناص لهذا المتلقِّي من التزَيُّ بخرقة المجازات والاستعارات، والتَّحْرِقِ في دَوامة اللَّمَح والإشارات، والتَّطَهُّرِ في نورانية الشفوف والمكابدات. ففي إرشافة الإهداء التي افتتح بها ديوانه «مملكة الحروف» يتَّصُّص على القول: «للحرفِ مملكةٌ مَحَصَّنةٌ من يَدِ القراصنة، نُحيطُ بها سرادِقُها...! لا يدخلُها إلا مَنْ عَرَفَ كيفَ يَطْرُقُ أبوابَها، أو أوتِي مَفاتِحَها عن عِلْمٍ...! أو تَوْصًا بماء الشُّفوفِ لطَهْرانيةِ الحُرُوفِ المَسْكوتيةِ في قارورة العشق الأبدي...! إقْرَأ! طاسين...! هل تعلمُ أنَّ أَعْتَبَها لا تقادُ لمن لم يَتَرَوِّدْ بزادِ الشفوف والتَّشَوِّف...!»<sup>(15)</sup>.

كما يُطالِع قوله أيضا: «فُكَّ عِقَالِكَ واعْلَمْ بِعِرْفانِ إدراكِكَ أن للحرفِ شطحاتٍ ومَعاني، تفوقُ حجمَه المنطوق...! إنَّه كَوْنٌ بذاتِهِ، مُنْفَصِلٌ عن كينونةِ اللغةِ المعيارية... إن قُلْتَ: نونٌ كافٌ؛ أو قُلْتَ: أَلِفٌ باءٌ فإنَّك توحى للآخر بالكيفِ الثُّوراني الذي يتجدَّد، عبرَ لغةٍ خاصَّة، تسبِّحُ كما يسبِّحُ الطَّيْر... فرأى السالكُ/القارئُ/الواصلُ/ أن كلَّ شيءٍ في هذا الوجود يُسبِّحُ/ يَكابِرُ/ يُقاتِلُ/ فترمُزُ له بالحرفِ حيثُ تنجلي مِسْكاةُ المعاني المتجدِّدة...!»<sup>(16)</sup>.

وفي مُفتتح ديوانه «مطايا الوجود»، في رأس صفحة الإهداء؛ يخصُّ أهلَ الإشارة بتلقِّي شعره، إذ هُمُ الأعرافُ بفهم الحروف، والأقدر على اتِّقاء الحتوف. فيقول: «إلى مَنْ يتعشَّقُ أن تغمره أنوارُ المحبَّة، وأن يَعْبُرَ نَهْرَ العرفان، فليركبْ مطايا العاشقين، وقد انسلَّ خيطًا من عباءةِ العبارة، وبقايا الطَّيْن، ليتلبَّسَ شُفوفَ الإشارة، حيثُ تكونُ اللُّقيا سؤالا بمقامِ الرُّؤيا...! فَطوبى لمن استظلَّ بدوحة العاشقين، ثم ذاق.. فاشتاق.. فاستفاق، وقال: سلامًا على السالكين...!»<sup>(17)</sup>.

13- مملكة الحروف (ديوان). أحمد مفدي. مطبعة وراقة بلال، فاس. ط1: 2022م. (عتبة الإهداء) ص: 4.

14- مملكة الحروف. ص: 4.

15- مملكة الحروف. ص: 3.

16- مملكة الحروف. ص: 3.

17- مطايا الوجود (ديوان). أحمد مفدي. مطبعة وراقة بلال، فاس. ط1: 2019م. (عتبة الإهداء) ص: 5.

## الحروف أُمَّة:

هذا وإن «الحروف أُمَّة من الأمم»<sup>(18)</sup>؛

و«مملكة»<sup>(19)</sup> من الممالك؛

و«شجرة»<sup>(20)</sup> من أَجْمَةِ أَرْضٍ مِعْطَاءٍ؛

وهي «سر من أسرار الله تعالى، والعلمُ بها أشرف من العلوم المخزونة عند الله تعالى وهو العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة»<sup>(21)</sup>.

ثم إن «العلم من وراء الحروف»<sup>(22)</sup>؛

وإن «الحرف حجابٌ والحجاب حرقٌ»<sup>(23)</sup>؛

و«الحرف حقيقةٌ وقناعٌ، ورمزٌ وصورة»<sup>(24)</sup>.

ولأجل ذلك كله؛ فقد تشكَّلت أُمَّة الحروف في الخطاب الصوفي من أجناس مختلفة، ورموزٍ متعدّدة، منها النقط والدوائر، والحروف والحركات، واللطائف والإشارات، والرموز والأرقام، والكلم والكلام، والظاهر والباطن<sup>(25)</sup>، والأوفاق والجداول، والبروج والمنازل، والخطوط والأشكال، والرُقُوم والأعداد، وغيرها من الأجناس التي تجعل من الحروف أُمَّةً من الأمم، ومملكةً من الممالك... ولكثيرٍ من هذه العناصر حضورٌ في شعر أحمد مفدي، وسنشير الحديث عن بعضها، في ثانيا هذه الدراسة، وفُق ما تستدعيه أنساق الكلام ومناويل التأويل.

**18-** الفتوحات المكية. ابن عربي. صححه: أحمد شمس الدين. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. 1/95. وينظر أيضا: سر الحروف. محي الدين بن عربي. ص: 13. و: شمس المعارف الكبرى. الشيخ أحمد بن علي البوني. مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت- لبنان. ط2: 1427هـ/ 2006م. 4/420.

**19-** أحمد مفدي. مملكة الحروف. (الديوان وكلمة الإهداء في مفتحه).  
وقد نعت الشاعر الموريتاني أدي ولد أدب الشاعر نزارًا قبائيّ حين نعاه في مرثيةٍ رائيةٍ بفقيد مملكة الحروف، وفي بيتها الثالث يقول:

يا خالِقَ الحَرْفِ الجَمِيلِ.. تَرَكْتُنَا الآن.. مملكةُ الحُرُوفِ.. غِبَارًا!

إلى أن يقول في الحثيم:

فأغرُجُ.. بُراقَ الشُّعْرِ حَمَحَمَ .. مُسْرَجًا في جَنَّةِ المَأْوَى.. لَدَيْكَ مَطَارًا!

ينظر ديوان: بصمة روجي. أدي ولد أدب. مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش- المغرب. ط1: 2018م. ص: 39- 40.

**20-** أبجدية الوجود: دراسة في مراتب الحروف ومراتب الوجود عند ابن عربي. أحمد بلحاج آية وارهام. منشورات أفروديت، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش. ط1: 2013م. ص: 22. يقول: (شجرة الحروف استواءُ الله على أمر أنانيته، المشير إلى قوله: إني أعلم وأسمع وأرى، وهو باطن الأشجار كلها ومنها شجرة الحروف).

**21-** نفسه، ص: 14.

**22-** المواقف والمخاطبات. ص: 179.

**23-** المواقف والمخاطبات. ص: 176.

**24-** أبجدية الوجود: ص: 32.

**25-** قال الثَّقَرِي: «قال لي مَنْ أهل النار؟ قلت أهل الحرف الظاهر. قال من أهل الجنة؟ قلت أهل الحرف الباطن». المواقف والمخاطبات، 183.

## شعرية الحرف الصوفي:

ليس من الغلوّ في شيء إن نحن أقرنا أننا نقفُ في شعر أحمد مفدي الصوفي بإزاء وقوفنا أمام كبار شعراء الصوفية، سواء أمن حيث العمق الصوفي والروحي والدلالي، أم من حيث سمات الشعرية في الخطاب الصوفي. لكن ربما، في المقابل، قد نغالي قليلاً إن أقرنا بارتقاء درجة الشعرية لدى أحمد مفدي عنها في شعر بعض الصوفيين، كونهم ينظّمون وأحمد مفدي يَشعُر، أي باعتبار أن شعرهم نَظْمٌ وشعره شِعْرٌ.

وفي دراسته للرمز الصوفي لخمريات ابن الفارض؛ ذهب الدكتور محمد يعيش إلى أقرب من هذا حين قال: «لقد كان ابنُ الفارض شاعراً صوفياً، وكان غيره- في الغالب الأعم- صوفيين شعراء»<sup>(26)</sup>. وعلّة ذلك أنه، ربما، تلمّس في شعره ملامح الشعرية، وفي شعر غيره سماتِ النَّظْمِ، أو ربما التفت إلى هيمنة الرؤية الفلسفية الوجودية على لغة الشعر مع ما تتسم به من تجريد، وأياً كان الوازعُ فالدكتور محمد يعيش يحسبُ شعرَ ابن الفارض «أنضجَ شعرٍ صوفي في العربية [...] مكنّته من أن يتجاوزَ حسية اللغة وتجريديتها على حدّ سواء، ليؤسس لغةً صوفيةً رؤيوية، تتطلق إلى حيث تبهمُ المعالم، وتصحّر المقاييس، وتألّف الأضداد»<sup>(27)</sup>.

فإذا استدعينا من شعر الحلاج شاهداً، في العشق مثلاً، واستدعينا مثله من شعر أحمد مفدي، سنستبين حقيقة ما أثبتناه، حين نحتكم إلى ذاتة الشعرية فيهما معاً. فلنقرأ للحلاج هذا المقطع، الذي يقول فيه<sup>(28)</sup>:

العِشْقُ فِي أَرْزِلِ الْأَزَالِ مِنْ قَدَمٍ \* فِيهِ بِهِ مِنْهُ يَبْدُو فِيهِ إِبْدَاءُ  
العِشْقُ لَا حَدَّتْ إِذْ كَانَ هُوَ صِفَةً \* مِنَ الصِّفَاتِ لِمَنْ قَتَلَاهُ أَحْيَاءُ  
صِفَاتُهُ مِنْهُ فِيهِ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ \* وَمُحَدَّثُ الشَّيْءِ مَا مَبْدَاهُ أَشْيَاءُ  
لَمَّا بَدَا الْبَدْءُ أَبْدَى عِشْقَهُ صِفَةً \* فِيمَا بَدَا قَتَلَا فِيهِ لِأَلَاءِ

26- شعرية الخطاب الصوفي «الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجاً». محمد يعيش. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 1. مطبعة سيياما، فاس. 2003م. ص: 9.

27- شعرية الخطاب الصوفي، ص: 9.

28- ديوان الحلاج. وضع حواشيه وعلق عليه: محمد باسل عيون السود. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1419هـ/1998م. ص: 117.

ثم لِنُشْدُ قَوْلَ أَحْمَدَ مَفْدِي فِي الْغَرَضِ ذَاتِهِ<sup>(29)</sup>:

أَهْلُ الْهَوَى عَشِقُوا الرَّحْمَنَ فَاتَّعَلُّوا \* صَفْوُ الْمَحَبَّةِ كَيْ يُسْقُوا بِمَا حَمَلُوا  
والعاشقونَ متى ذاقوا الهوى سألوا! \* فالعشيقُ عندهمُ رؤيا بها تملوا!  
الحُبُّ يسكنُهُمُ.. والتُّورُ والوَجَلُّ \* نَهْرانِ لا يَبغِيانِ (القَوْلُ) إِنْ فَعَلُوا!  
حَتَّى رَأَوْا فِي جَنَى الْأَشْوَاقِ مَا رَغِبُوا \* لا يَعْلَمُ الشَّوْقُ إِلَّا مَنْ بِهِ اتَّصَلُوا

فيتجلى انسيابُ الماءِ في شعرِ أحمدَ مفدي ونضوبُهُ في شعرِ الحلاج؟! واصطبأه بالطلاوة والحسن والعذوبة والشعرية وانتفاؤها لدى سابقه؟! وفي المقابل يُطالعنا نَظْمُ المصطلحات الصوفية واستغرافها حَدَّ التفلسفِ في شعرِ الحلاج بإزاءِ رِحابَةِ اللِغَةِ وتحررِ المعاني في شعرِ مفدي، وكأنها تسبح في الأفلاكِ مَسْرَى وَعُرُوجًا، طليقةً مُنسابَةً لا تعيقها جُدْرًا؟!

إدًّا، نحن هنا أمام «شعر صوفي» في مقابل «صوفية شعرية»، الأول يفوق الثانية شعرية ويتعالى عليها أدبية، لما يحتويه من سمات فنية وجمالية تمنحه جرعةً أقوى من الجمال والجلال، والبراعة والرونق، والحسن والرّواء.

## المبحث الثاني

أشوار الحروف في شعر أحمد مفدي



بعد أن تَبَيَّننا من قيمة النص الشعري الصوفي لدى أحمد مفدي في ميزان النقد، وقِسْنَا درجة الشعرية في قَالِهِ الفني ونَقَّسِهِ الإبداعي، سنعرج على تتبع «أمة الحروف» في شعره، من خلال أهم النماذج التي تدرج ضمن مملكتها وتنصهر في بوتقتها، ومنها أساسًا: **النَّقْطُ، والداوئر، والحروف.**

## أولًا- أسرار النِّقْط:

النقطة «هي الأصل، لا يزيد، ولا ينقص، ولا يبيد»<sup>(1)</sup>.

النقطة «سر الهوية الغيبية المطلقة في عالم الرقم»<sup>(2)</sup>.

النقطة «قيوم الحروف كلها مع اندراجها في مدارج مخارجها واختفائها بصورها»<sup>(3)</sup>.

النقطة «مَبْدَأُ كل حرفٍ كما هو مُشَاهِدٌ»<sup>(4)</sup>؛ ولذلك فقد «قالت الساداتُ الصوفيةُ أربابُ القلوب الصافية~: وَجْهُ وَحْدَةِ العلم وكونه نقطةً هو أَنَّ المعلومَ واحدٌ، وإنما كَثُرَتْه آراء الجُهال بتوهمها»<sup>(5)</sup>.

وإنَّ «نقطةَ الحرف من تمام الحرف، فهو متَّحد بالحرف والاتحاد يُشعر بالغيرية، وهو ذلك الفصل الذي تراه بين الحرف وبين النقطة»<sup>(6)</sup>.

وتَبَيَّنَّا لكل ما سبق صارت النقطة «إشارةً إلى ذات الله تعالى، الغائبِ خلف سرادق كنزيتة في ظهوره لخلقه»<sup>(7)</sup>.

ومن هنا طفق الشعراء الصوفيون و«الصوفيون الشعراء» إلى النقطة يوظفونها في شعرهم، إشارة إلى الوجود والأحدية، والذات والماهية. وليس الشاعر الصوفي أحمد مفدي ببعيد عن هؤلاء، وهو يستدعي النقطة ترميزًا، ويستخدمها إشارةً، تفتح على أنساق الكلام ومناويل التأويل.

1- الطواسين وبستان المعرفة. الحلاج. إعداد وتقديم: رضوان السح. دار الينايع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا. طبعة 1994م. ص: 52.

2- أسرار النقطة. علي بن شهاب الدين همداني. ترجمة: توحيد مكاشفان. مقدمة وتصحيح: محمد خواجوي. دار انتشارات مولى، طهران. ط: 2، 1382. ص: 68. وينظر أيضًا: الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية. ابن شهاب الهمداني. تحقيق أحمد فريد المزيدي. دار الآفاق العربية، القاهرة. ط: 1، 1431هـ/2010م. ص: 11.

3- الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية. ابن شهاب الهمداني. ص: 12.

4- نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة. أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري. تحقيق أحمد فريد المزيدي. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت. ط: 1، 1425هـ/2004م. ص: 9.

5- نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة. ص: 9.

6- الكهف والرقيم في شرح «بسم الله الرحمن الرحيم». الشيخ عبد الكريم الجبلي. اعتنى به: د/ عاصم إبراهيم الكيالي. ص: 14.

7- الكهف والرقيم ص: 13.

يقول في قصيدة «دخول المحرم في السعي بين صفا الإبجدية الأولى»<sup>(6)</sup>:

النَّقْطُ التَّحْتِيُّ (كَمِينٌ)....!

يَضْمَنُ أَنْ تَتَفَجَّرَ السَّاعَةُ

قَاعِدَةُ الْمَسْعَى فِي سَلْطَنَةِ الْحَفْرِ الْأَثْرِيِّ....!

تَقْرَأُ بِالنَّقْطِ (الْبَاءِ)

(تَنْهَجَاهَا)

تَعْرِفُ أَنَّ السَادَرَ مَعْرُورٌ بِهَوَاهُ زَمَانَ النَّبْلَاءِ....!

وَكَأَنَّكَ تَدْرِي أَنَّ (...) الْأَقْوَامَ إِذَا فُتِحَتْ لَا تُغْلَقُ....!

وَكَأَنَّ الْغِلَّ الْعَالِقَ فِي قَلْبِهِ لَمْ

يَجِدِ الْأَحْرَفَ مُعْجَمَةَ الْأَسْنَانِ....!

يَا آخَرَ مَنْ يَفْهَمُ....!

قَدْ كَانَتْ فِي يَدِهِ مِنْذُ زَمَانٍ عِلَّةٌ مَأْسَاةٍ سِوَاهُ....!

لَكِنَّهُ يَأْبَى أَنْ يَفْهَمُ....!

القصيدة تعود إلى عام 1972م، بحسب التأريخ الذي ذُيِّلَ به الشاعر زمنَ إبداعها، وهذه الفترة عرفت أحداثا سياسية خطيرة في المغرب والعالم العربي، وبخاصة الصراع العربي الإسرائيلي، فكانت الإشارةُ لدى الشعراء أبلغَ من العبارة في سياق تاريخي وسياسي غير مستقر، عبَّرَ الشاعر مفدي نَفْسُهُ عنه بقوله في افتتاحية الديوان: «هذا الديوان نُشِرَ جزءٌ منه في غشت سنة 1972م ضمن ديوان «في انتظار موسم الرياح». ونظرًا لما عرفه المغرب من أحداث مؤلمة [...] شرعتُ في تنقية الديوان مما علق به من أدران الزمان، فأخذتُ أحذفُ فقراتٍ متعدِّدةً، وأحيانًا قصائدَ بكاملها، حتى يتسنى طبعه ونشره»<sup>(9)</sup>.

وفي هذا الشاهد الشعري نلاحظ أن الشاعر مفدي يستوقفه «طاسين الفهم»، بحسب تعبير الحلاج، ذلك أنه حين يقول:

يَا آخَرَ مَنْ يَفْهَمُ....!

قَدْ كَانَتْ فِي يَدِهِ مِنْذُ زَمَانٍ عِلَّةٌ مَأْسَاةٍ سِوَاهُ....!

لَكِنَّهُ يَأْبَى أَنْ يَفْهَمُ....!

8- مملكة الحروف. ص: 29-30.

9- مملكة الحروف. ص: 5.

فهو هنا بإزاء التحقيق في أفهام الخلائق، أو بعضهم! وهو هنا يتساوq وقول الحلاج: «إن كنت تفهم فأفهم!»<sup>(10)</sup>، وقوله: «لا تصح هذه المعاني للمتواني، ولا الفاني، ولا الجاني، ولا لمن يطلب الأماني»<sup>(11)</sup>.

وهنا تنتصب اللغة الصوفية بحمولتها الوجودية الدقيقة، وتفسها العرفاني المبطن بالإيحاءات والرموز.. هنا تتجند النقط والحروف والأقواس والإعجام إيدانًا بحلول ساعة انفجار الكمين؛ إذ السادر الحيران المغرور يأبى أن يفهم «علّة مأساة سواه»!

وإذا عرجنا على قصيدة «مقام المشيشي» سجد الشاعر مفدي يُشد<sup>(12)</sup>:

شربنا الهوى

من شدى ما اصطفيينا...!

رؤى من صبا ما عشقنا

تراها بقايا الشدوه...!

وكانت بلوح العذار

مفاتيح نور ونار...!

وما بين بين

يقيم القصيد استواء...!

مدى نقطتين:

ببء ونون تبوخان قولاً بسرّ القلم...!

به قد تقوم صروح العناية...!

ولما التقينا فرادى عشياً

بصخر العلم....

بدأنا نفك رموز الحكاية...!

فالنقطة هنا نقطتان: نقطة الباء، ونقطة النون. وكل ما في الباء- كما يقول الجيلي- هو في النقطة التي تحت الباء<sup>(13)</sup>، وكل ما في النون مرتبط بالكينونة والحقيقة، «ولا نون بدون نقطة،

10- الطواسين. ص: 48. وديوانه. ص: 95.

11- الطواسين. ص: 48. وديوانه. ص: 95.

12- حدوس ابن عربي. أحمد مفدي. مطبعة وراقه بلال، فاس- المغرب. ط: 2019م. ص: 113- 114.

13- الكهف والرقيم. ص: 13.

ولا نقطة بدون نون، والنقطة عين الحقيقة<sup>(14)</sup>. والحلاج يصرّح بأن: «النقطة أفكار الفهم، الواحد فيها حقٌّ وما سواها باطل»<sup>(15)</sup>؛ بل إنه «عندما يتم وصل النقطة بالنقطة والمعنى بالمعنى يكون المعنى الكَلّاني للوجود قد تحقق. فالنقطة أصل كل حرفٍ ومعنى، وكلّ حرف أو معنى مستقيمٍ أو منحرفٍ فهو متحرّكٌ عن النقطة بعينها، وكلّ ما يقع عليه البصر أو يدرکه اللبّ فهو نقطة بين نقطتين ومعنى بين معنيين. فالنقطة هي مركز الوجود الذي انطلقت منه مراتب الأعيان الحسية والمعنوية، ولذلك قال الحلاج: «ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله فيه»<sup>(16)</sup>.

### ثانياً- أسرار الدوائر:

ومما يتصل بخفايا الحروف: الدائرة. وهي «صورة الكتيب الذي يجتمع الناس عليه لرؤية الحقّ وهو في جنة عدن»<sup>(17)</sup>.

ويرى ابن عربي في «الفتوحات المكية» أن «الوجودَ دائرة، فكان ابتداءُ الدائرة وجودَ العقل الأول الذي ورد في الخبر أنه أول ما خلق الله العقل، فهو أول الأجناس؛ وانتهى الخلق إلى الجنس الإنساني، فكمّلت الدائرة، واتصل الإنسان بالعقل كما يتصل آخر الدائرة بأولها فكانت دائرة، وما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالم، بين العقل الأول، الذي هو القلم أيضاً، وبين الإنسان الذي هو الموجود الآخر»<sup>(18)</sup>.

وحين دفعت الفطرة الغزبية حيّ بن يقظانَ إلى البحث عن الحقيقة، «التزمَ ضروبَ الحركة على الاستدارة؛ فتارةً كان يطوف على الجزيرة، ويدور على ساحلها ويسبح بأكنافها، وتارة كان يطوف ببيته، أو ببعض الكدى أدواراً معدودة: إما مشياً، أو هرولاً؛ وتارةً يدورُ على نفسه حتى يُغشى عليه»<sup>(19)</sup>. كما أنه أحياناً كان «يلازمُ الفكرة في ذلك الموجود الواجب الوجود، ثم

14- الصوفية في الشعر المغربي المعاصر (المفاهيم والتجليات). د/ محمد بنعمارة. شركة النشر والتوزيع: المدارس، الدار البيضاء، المغرب. ط1: 1421هـ/2000م. ص: 284.

15- الطواسين. ص: 45.

16- أبجدية الوجود. ص: 26.

17- معجم مصطلحات الصوفية. دكتور عبد المنعم الحفني. دار المسيرة، بيروت. ط2: 1407هـ/1987م. ص: 97. والكتيب مقامٌ دون الأعراف وفوق جنات النعيم، فكلمًا يقع لأهل الجنة من زيادة المعرفة بالله ﷻ تعلو درجاتهم في الكتيب، والفرق بين أهل الكتيب وأهل الأعراف أن أهل الكتيب خرجوا من دار الدنيا قبل أن يتجل عليهم الحق فيها، فلما انتقلوا إلى الآخرة كان محلهم في الجنة، ويتفضّل الحقّ عليهم بأن يخرجهم إلى الكتيب فيتجلّ عليهم، هنالك يتجل على كلِّ بقدر إيمانه بالله تعالى في الدنيا وبمعرفة بقدره سبحانه وتعالى. وأما أهل الأعراف فهم قومٌ لم يخرجوا من الدنيا إلا وقد تجلّ الله سبحانه وتعالى عليهم، وعرفوه فيها، فلما خرجوا منها إلى الآخرة لم يكن لهم محل إلا عنده.

ينظر: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني. مكتبة ومطبعة صبيح وأولاده، ومطبعة حجازي، ميدان الأزهر، مصر. طبعة: 1368هـ/1949م. ج-ص: 1/57.

18- الفتوحات المكية. 1/193.

19- حي بن يقظان. ابن طفيل. تحقيق فاروق سعد. منشورات دار الآفاق، بيروت. ط5: (د.ت). ص: 199.

يقطع علائق المحسوسات. ويغمض عينيه، ويسدّ أذنيه، ويضربُ جُهدَهُ عن تبّيع الخيال، ويروم بمبلغ طاقته ألا يفكر في شيء سواه، ولا يشرك به أحدًا، ويستعين على ذلك بالاستدارة على نفسه والاستحثاث فيها. فكان إذا اشتدّ في الاستدارة، وغابت عنه جميع المحسوسات [...] يشاهد الموجود الواجب الوجود»<sup>(20)</sup>.

ومثلما عدت الدائرة مدارًا للوجود وفلكًا للكينونة؛ اعتبرها شيوخ الخطّ مركزًا لانبثاق الحروف وجذرًا لتشكّلاتها الجمالية. فإذا ما توقّفنا عند مدرسة ابن مقلّة في رسم الحروف ألفينا الدائرة في صلب هندستها؛ فالراء-مثلًا- «شكل من خط مقوس، وهو ربع محيط الدائرة التي قُطرها ألف، والنون شكل من خط مقوس وهو نصف دائرة، والجيم شكل مركّب من خطين: منكّب ونصف دائرة، والعين شكل مركّب من خطين مقوسين، والصاد شكل مركّب من ثلاثة خطوط مقوسة..»<sup>(21)</sup> وهكذا دواليك في رسم كثير من الحروف.. لتكون الدائرة، في النهاية، جذرًا تتفرّع عنه أفنان الحروف، وتنطلق منه أغصان الأشكال جمالًا وجلالًا، فتتشكّل (شجرة الحروف) باسقةً في علباء الأفق.

تحضر رمزية الدائرة في بعض أشعار أحمد مفدي الصوفية محمّلة بما تستطيعه من إحياءات رمزية. ففي قصيدة «رسائل منسية في دائرة القهر للثائر الخطّابي» تمثل «الدائرة» في بنية العنوان التركيبية مضافةً إلى القهر، لتنبّر خطابًا دلاليًا وجوديًا يعنّ الوطن في مركزيته؛ إذ الكينونة هنا من صنيع الثوار الذين نزلوا الوطن منزلةً مقدّسة، وأحلّوه مقامًا صوفيا يستحقّ المجاهدة والمكابدة. يقول:

ينصبُّ على هامة هذا الراحل من «أنوال»

أنداء الله بلا حصرٍ...!

أنوال أرقبها،

تكتب في جانبه الأيمن تاريخًا أسود

كفصول التزوّ تحبل بالإحراق

تقطر في أعينيه من دائرة الصفر

لكن تكبر في أعين هذا الوطن المكبوت

تاريخًا يمتدّ طويلًا وعظيمًا<sup>(22)</sup>

20- حي بن يقظان. ص: 199

21- رسالة في الخط والقلم. ابن مقلّة. ضمن كتاب: ابن مقلّة خطاطا وأديبا وإنسانا. تصنيف وتحقيق: هلال ناجي. سلسلة خزانة التراث، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام. بغداد. ط1: 1991م. ص: 120-121.

22- في انتظار موسم الرياح. أحمد مفدي. مطبعة النهضة، فاس. 1972م. ص: 18. وأنوال: قرية ريفية شمال المغرب، بها وقعت معركة أنوال الشهيرة التي هزّتها فيها الأمير عبد الكريم الخطّابي الجيش الإسباني (العظيم) شرّ هزيمة، وذلك في الحادي والعشرين يوليوز عام 1921م، وغنم فيها عتادا كثيرا، وأدوية وأسرى.

إن الدائرة هنا رحلةٌ ثوريةٌ لتطهير الوطن من أدرانِ الدّخيل، وتحريره من غضب الغاصبين. الدائرة هنا صُغرى في أعين الثوار لكنّها تكبُرُ في أعين الوطن. الدائرة هنا الوجودُ في أبهى تجلياته وأسمى مقاماته.

وفي قصيدة: «نقشٌ في جدار الماضي لعبد الرحمن المجدوب» تأخذ الدائرة شكلها «الرؤميّ» المُستلهم من الشطح الناجم عن احتراق الروح في حضرة الوجودِ وفُيوضِ الحال. يقول أحمد مفدي:

أَتَحَلَّبُ لِلإِرْهَاصِ  
أَقْرَأُ فِي دَائِرَةِ السَّطْحِ إِذَا أَفْهَمَنِي الْأَشْخَاصُ  
الْيَوْمَ مَطَرٌ... وَعَدَا تُشْرِقُ شَمْسُ النَّقْمَةِ وَالإِرْهَارِ  
وَتَتَمُّرُ الْحَلَقَةُ بِالْبَدءِ (...)!  
حتى يأتي... من كان مريدَ الصّفوةِ في حاضرة الأحرار<sup>(23)</sup>

### ثالثاً- خفايا الحروف:

نتطلق في هذا المحور من قول الشاعر أحمد مفدي:

«أَمَقْتُ مَا يَأْسِرُنِي مِنْ قَوْعَةِ اللَّفْظِ»<sup>(24)</sup>؛

ثم من قوله<sup>(25)</sup>:

فَمَنْ ذَا سَيَعْلَمُ أَيَّ حَبِيسِ الْخُرُوفِ  
(... فكيّف أزيل البلى عن حروفِ الشُّفوفِ...؟!  
أَتَمَحُو الدَّوَاهُ أُنَيْنَ الرَّسَنِ...?!

فنجذِفُ إبحارًا في حُلجانِ الحروفِ ومراوئِ أسرارها، نَبْقُرُ بطونَ بناتِ الأفكارِ المندسّةِ في حبايا الصيد، نُسائلها، نووّلها، نناجئها، نناغيها، نتلقأها بعيون التّقد وذاتقة السالكين.

إن علم الحروف «هو العلمُ القويمُ والطريقُ المستقيم، الذي خاضتُ بحارته العلماءُ القدماء، وتوعّرت فيه الأئمة العظماء، وأخذ كلُّ من جهده بجواهره المصونة، وصّفوا

23- في انتظار موسم الرياح. ص: 69-70.

24- في انتظار موسم الرياح. ص: 7.

25- مطايا الوجود. ص: 55-57 (بتصرف).

به ما حصل منه الارتفاع والارتفاع»<sup>(26)</sup>. وإن الأقوام خاضوا في هذا العلم من كل المراتب والجهات، والأبواب والمقامات، فبعضهم خاض في تدبير ظاهر معانيه، وبعضهم استغرق في تدبير معقوله؛ «وقوم دخلوا فيه من أبوابه، واستناروا بأنوار أربابه فأوقفهم على المقصود منه، وأبرز لهم الكونَ في دائرة كُنَ فيكون»<sup>(27)</sup>.

وعلم الحروف يُعرف بعلم «السيمياء» لتصريف حروفه على أوجه الرموز والدلالات، قصد الكشف عن المعاني الباطنية والمقاصد المُستسرة؛ ومن هنا «السيمياء لغةٌ في حد ذاتها، كافيةٌ للتعبير عن العالم والكون [...] والتعبير عن الظواهر باعتبارها مجموعة من النظم والعلاقات: فالحرف لا يكتسب معناه إلا داخل الكلمة، والكلمة بدورها لا فائدة لها إلا في إطار الجملة»<sup>(28)</sup>. وأينما ائتلف الحرف احتاج إلى الحركات، نصبًا ورفعًا وخفضًا وجرمًا، وهي التي نعتها ابن عربي بالحروف الصُّغار<sup>(29)</sup>.

هذا وإن الصِّمَتَ لغةٌ من جنس الإشارة، فلا حُرُوفَ هنا ولا حُتُوفَ، ولا لغوًا ولا تأثيمًا. وإنما للأرواح أن تتصاع إلى مناويل التأويل، وتتساق إلى فكِّ خفايا الإشارات. قال الشبلي<sup>(30)</sup>:

فإذا ما نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِي \* وإذا ما سَكَتُ كُنْتَ عَلِيًّا

وقال أحمد مفدي<sup>(31)</sup>:

أقرأ بالصمِّتِ

وباللمسِ، الصَّحْفَ الأوَّلِي

وأخرُّ على الأرضِ بكيًّا...!

لأرى في النفسِ إذا عشقتُ

أنسامَ التسييحِ صباحاً وعشيًّا...!

26- الكشف في علم الحرف. تأليف الشيخ علي بن أحمد البوني. مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت. ط1: 2004م. ص: 6.

27- نفسه. ص: 6.

28- علم الحروف في الإسلام. تأليف: بيير لوري. ترجمة: داليا الطوخي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ط1: 2006م. ص: 67-68.

29- الفتوحات المكية، 1/132.

30- ديوان أبي بكر الشبلي. تحقيق الدكتور كامل مصطفى الشبيبي. مطابع دار التضامن، بغداد. (ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه). 1386هـ/1967م. ص: 120.

31- قطوف الوجد (رسائل الأموات إلى الأحياء). مطبعة وراقة بلال، فاس. ط1: 2016م. 127/2.

وكذلك دمعُ العاشقين يفعل! وهو أبلغ من الحديث وأدل من الكلام. يقول السهروردي<sup>(32)</sup>:

وَاحْسَرْنَا لِلْعَاشِقِينَ تَحَمَّلُوا \* سر المَحَبَّةِ وَالْهَوَى فَصَّاحُ  
بِالسَّرِّ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ \* وَكَذَا دِمَاءُ الْعَاشِقِينَ تُبَاحُ  
وَإِذَا هُمْ كَتَمُوا تَحَدَّتْ عَنْهُمْ \* عِنْدَ الْوَشَاةِ الْمَدْمَعُ السَّحَّاحُ

وسواءُ أباَنَ الشعراءُ كلامًا أم صمًّا، أم أُبلِغُوا عبارةً أو إشارةً؛ فإنهم سلكوا مسلكَ علم الحروف وسيميائياته، وتفقوا معانيه ودلالاته، فتأتى لهم علم الظاهر والباطن، وأمكثهم كشف الحُجُبِ وهتك الأسرار. وإنما لما تلقينا شعر الشاعر أحمد مفدي من هذه الزاوية التأويلية، تحصل لنا من عنايته بالحروف ما نقرّ به أنها تُشكّل ظاهرةً أسلوية بارزة، وملمّحًا بلاغيا لافتًا، وجديرًا بالتّظر والتقليب.

إن هذه الحروف، وإن تناثرت سَتَاتًا في عديد قصائده ودواوينه؛ إلا أنه أفرد لها ديوانًا مخصوصًا أسماه: «مملكة الحروف»، أوقفه على استبطانِ شفوفِ الحرفِ واستكناهِ إشراقاته العرفانية، ليَحْمَلَهُ رسائلُ إشاريةً ولطائفَ إيحائيةً جديدةً، تتصلُّ بمعيش الأمة وواقعها المأزوم أحيانًا، وتسترهضُ آتيها الذي تتنبأُ به فِرَاسَةُ الشاعر وتستشرفُهُ حُدُوسُهُ! وكأنّه يُجْمُ غيباتِ فَنجانِ الحُرُوفِ، أو يقرأ أسفارَ الجَفْرِ سَعُودَهَا ونُحُوسَهَا، ليوقِظَ الأُمَّةَ فَتَسْتَبِقَ مَخْبُوءَاتِ وَجَعِ التاريخِ ومَكْرِ دوائِرِهِ!..

يقول<sup>(33)</sup>:

أَنْظُرُ بِالْبَاطِنِ! ...  
أَقْرَأُ «بِالتَّنْكِيسِ»!.....بَقَايَا الْأَوَاحِ وَمَا  
يَسْرُحُ فِيهَا مِنْ هَمْسِ حُرُوفٍ!..  
تُخْفِي، وَلَهَا فِي شَطْحَاتِ الْإِفْتَاءِ!...  
بَوَارِ الْكَلِمَاتِ!...

32- ديوان السهروردي المقتول. صنعه: د/ كامل مصطفى الشبيبي. مطبعة الرفاه، بغداد. 2005م. ص: 58.

33- قطوف الوجع. 112/2/111.

ويقول<sup>(34)</sup>:

إِنِّي أَفْسِمُ مَا كُنْتُ مُسَيِّمَةً!...  
لَكِنَّ رِوَاةَ التَّارِيخِ وَقَدْ قَرَأُوا الْأَوْزَارَ نُجُومًا  
وَرَأَوْا أَيُّ نَبِيٍّ  
آتٍ مِنَ الْوَاحِ السُّنْدِ سَيِّئًا...!

وفي هذا المبحث الموالي سنضيء دياجير مملكة الحروف أكثر، وستتوقّف عند خصوصياتها كَشْفًا وبيانًا.

#### رابعًا- مملكة الحُرُوف:

الحروف عند محي الدين بن عربي أمة، وعند أحمد مفدي مملكة. إنهما معًا يُنصَّبان الحروفَ كيأنا قائمًا بذاته، له عَرْشٌ وحاكِمٌ ومحكوم، وله جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ، وله مَقَامَاتٌ جِسَانٌ وأحوال، ومنها ما هو سعيد ومنها ما هو شقي، ومنها ما هو نورٌ ومنها ما هو نار، ومنها ما هو قوي ومنها ما هو ضعيف، وهكذا دواليك على نحو ما تُقامُ عليه الأمر والممالك، وما تنشأ به الدُولُ وتتعاقَبُ عليه الحضارات.

ولمَّا تتبعنا ملفوظ «الحرف» في عَيِّنة من دواوين الشاعر أحمد مفدي لَقَتْنَا انتباهنا اهتمامه المتزايدُ بقدسيته، وعنايئُهُ الفائقةُ بإحوائه. فقد أحصينا تَعَدَادَ استعماله في ديوانه: «مطايا الوجود» و«مملكة الحروف» فقط، فوجدناه يتردد اثنتين وسبعين مرةً وفق صيغ صرفية نُجَلِّبُها في هذا الجدول:

المجموع	الصيغ الصرفية					الديوان
	حروفي	الحروف	الأحرف	حزفي	الحرف	
30 مرة	مرتان	20 مرة	/	5 مرات	3 مرات	مطايا الوجود
50 مرة	/	4 مرات	6 مرات	5 مرات	35 مرة	مملكة الحروف

وهذا العدد أدعى إلى التناول الأسلوبى والمقاربة البلاغية.

وأما الحروف التي آثرها الشاعر أحمد مفدي في ديوان «مملكة الحروف» فعددها اثني عَشَرَ حَرْفًا من أبجدية الوجود، عليها سَيِّدٌ بِنِيَانٍ مملكته، وهي: الألف، والباء، والثاء، والجيم، والداد، والراء، والسين، والطاء، والكاف، والنون، والواو، والهاء. ونلاحظ أن ثمانيةً منها

مهملةً، هي: (ا-د-ر-س-ط-ك-ه-و) وتدللّ على منازل السعودات بحسب علم التنجيم، وكل الحروف المهملة هي حروف نورانية تدل على منازل السعودات، وأن أربعةً معجمةً بالنُّقْط (ب-ث-ج-ن)، وهي من منازل النُّحوسات؛ إلا أن ما كان منها ذا نقطة واحدة كان أقرب إلى السَّعد، وما كان ذا نقطتين كان متوسطاً، وما كان ذا ثلاثة كان نحساً أكبر. ولذلك فإثناء لوحدها في منزلة النحوس الظلمانية، والحروف الإحدى عشر المتبقية في منزلة السعود أو أقرب ما يكون منها. ولأجل ذلك تناسلت الثاء بكثرة في مشاهد الثورة والنضال، والصدّ والقتال، والتضحية بالدماء والأرواح من أجل مقام الوطن، نحو ما سرى لاحقاً.

كما أن تشكيلاً الحروف التي أقام عليها الشاعر أحمد مفدي معماريةً «مملكة الحروف» تنتمي سبغٌ منها إلى الحروف النورانية التي في أوائل السور مقطعةً، وهي: ا-ر-س-ط-ك-ن-هـ. ورمزية العدد (7) تستضمّر قداسةً في علم الأديان وأسرار التنجيم والحضارات البشرية المتعاقبة.

ومن كل ما سلف، نوشك أن نُحصي شعر أحمد مفدي الصوفي شعراً نورانياً، بالنظر إلى أنجاسية الحروف، ونَجَسر على توصيفه ضمن شعر الفيوضات العرفانية الجمالية، التي تشدُّ الحقائق الربانية بإشراقات العشق الرحماني وأوراد الحب الإلهي.

إن الحرف لدى الشاعر أحمد مفدي حُلْمٌ<sup>(35)</sup> وشهوةٌ<sup>(36)</sup> وصرخةٌ<sup>(37)</sup>؛ إنه كائن مهموم<sup>(38)</sup> وثائر<sup>(39)</sup>، وحادٌ كَشْفَرَة سيفٍ<sup>(40)</sup>، وحارقٌ كجذوة نارٍ ملتهبة<sup>(41)</sup>. لكن، ومهما تشعبت أوجه الحرف في هدوئه وعنفوانه، فالشعراء يقول مفدي-أولى بالحرف صدعاً وثورة، والعارض على من نكّص على عقبيه وانْدَسَّ حَلَفَ جُبْناءِ الحاضرة المخصية<sup>(42)</sup>.

35- يقول: «حرفي.. حُلْمِي.. بصرخ.. يا وطني.. أنت الثابت لا نُحْجَمُ.. لَبِيكَ اللَّهُمَّ». (مملكة الحروف: 14-13).

36- يقول: «والشهوة قُطْفُ الحرفِ الثائر.. لكن ما قَدَرُوا». (مملكة الحروف: 53).

37- يقول: «الصرخة حُرْفٌ حوشيٌّ يطلع من واحاتِ الأحرار.. شجراً يُمر شيحاً وخريفاً وجمالاً عَجْفاء». (مملكة الحروف: 23).

38- يقول: «قال الحرف المهموم: أَسْلُكُ سُبُلًا دَلَّلَهَا اللَّهُ لِمَنْ شَاءَ.. لكي لا يعجز كيف يشاء». (مملكة الحروف: 16).

39- يقول: «أَكْتَبُ في الرِّمْلِ حكايا.. وَأَضْمُرُ شظايا الحرفِ الثائر أقداحاً.. أرميها في الليل على أقدامِ النمرودِ جراحاً». (مملكة الحروف: 20).

40- يقول: «ويؤمُّ الخَلْقَةَ درويشاً.. يظمُّ في خَلَقَاتِ أحرار.. يتحوّل حُرْفُ النحو إلى شَفْرَة سيفٍ.. كي يُسَمِلَ أحداقَ الرِّيفِ المارق». (مملكة الحروف: 57-58).

41- يقول: «قد تستعل الأحرى نازاً.. في حُلجانِ نعالِ العربِ التَّوَمِّ عازراً.. لكنّ القادَمَ، مَنْ يُدْرِكُهُ، سبى إن نازاً». (مملكة الحروف: 64).

42- من قوله: «ورجولته حُرْفِي المرمية في الحاضرة المخصية تَنْدُبُ حَطَّ المُووؤدُ..!» (مملكة الحروف: 17).

يقول (43):

فاسر بأجنادِ الحَرْفِ صَبَاحًا...!  
 صُمَّ البحرَ إِلَيْكَ رُغَاءُ  
 فحياةُ القاصِرِ تَنَّى  
 لَكُنْ (إِنْ صَاحَ الشُّعْرَاءُ)...!  
 ثَاءٌ ثَاءٌ ثَاءٌ...!  
 فَرَّ الجُبْنَاءُ

فالثاء ترميزٌ إلى الثورة وتكسيرِ عقالِ العارِ وجُدْر الصمتِ المخزي، وبالثورة الهادرة تعلقو أروُسُ الرُزْسان وتتنكسُ قاماتُ الأقزامِ الغُرباء.

ثم يقول ثانيةً (44):

وَعَدًّا سَتَرَى العُربَاءُ  
 لَمَّا يَنْهَضُ مِنْ حَرْفِ الشاعِرِ.. ناثِر...!  
 ما في الإغماءاتِ مِنَ التَّرْفِ الغائِر...!  
 يَسْبِكُ مسمارًا يَنْغرسُ السَّاعَةَ  
 في أحداقِ مدائنِ أشباهِ السَّادَةِ...!

فتتجلَّى الثاءُ حرفًا/ مسمارًا/ يفتقأ أحداق الغُرباء الذين جَسَرُوا على غضبِ أوطانِ الضعفاء.

### الألف والباء/ الطَّهارةُ والخَلاص:

ذكر ابن مسرة في «كتاب خواص الحروف» أن الألف هي أول الحروف، ومبدؤها وأخرها، وهي المحيطة والمفضلة للأحرف غيرها، لأنها تقع أولًا وآخرًا، فهي كالدائرة المحيطة بما فيها، وهي كناية عن أول شيءٍ أظهره الله [...] وهي إرادته المطلقة في خلقه، والمخلدة أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار من بريته (45).

43- مملكة الحروف، ص: 45.

44- مملكة الحروف، ص: 84.

45- كتاب خواص الحروف وحقائقها وأصولها. لابن مسرة الجبلي. ضمن كتاب: نصوص من التراث الصوفي الغربي إسلامي. تقديم وتحقيق: الدكتور محمد العدلوني الإدريسي. دار الثقافة، المغرب. ط1: 1429هـ/ 2008م، ص: 31.

وقال الثَّقْرِي: إِنَّ «الحروف كُلَّهَا مرضى إلا الألف»<sup>(46)</sup>؛ باعتبار استقامته وحده وميلانها كُلِّهَا. ومن ثمة فإن «الإنسان يدخل الحياة أَلْفًا ويخرجُ ياءً، أولُ وجوده اكتمالٌ واستقامة، وآخره عَجْزٌ وانحناء»<sup>(47)</sup>.

وقال ابن خلدون: «تَوَعَّت الحروف، بقانونٍ صناعي يسمونه التفسير، إلى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر، فالألف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب»<sup>(48)</sup>، وهي الحروف التي تتركب منها (أبجد) العربية.

وأما الباء فهي النفس<sup>(49)</sup>، وهي العرش<sup>(50)</sup>، وهي اسمُ للبدء<sup>(51)</sup>، وهي كلُّ شيء، والظاهرة في كلِّ شيء، والسارية في كلِّ شيء<sup>(52)</sup>. وقال أحد الصالحين~: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الباءَ عليه مكتوبة؛ وكأنه يقول: بي قام كلُّ شيء<sup>(53)</sup>.

وعلى الجملة؛ فإن الألفَ والباءَ حرفان شريفان يستسرَّان عوالمَ اتصال الخلق بالخالق، ومبادئ الأشياء في موجودات الواجد. «فإذا كانت الألفُ رمزَ انفصالٍ وتعالٍ دالاً على عالم الجبروت؛ فإن الباءَ رمزُ اتصالٍ دالٌ على عالم الشَّهادة والظاهر»<sup>(54)</sup>.

هذا وإن الشاعر مفدي قرَّن الألفَ بالباءِ في بناءِ صور فنية صوفيةٍ تختزلُ رؤاه الوجودية، وإشراقاته العرفانية. ففي ديوانه «مملكة الحروف» نُطالعُ مقاطعَ يجعلُ فيها «الألف والباء» مَبْدَأً وجود القصيدة ونُطفةً تَحْلُقُها؛ وكأنَّ ذُنُوكَ الحرفينِ يقولان في كبرياء: بنا بدأ كل شيء.. حتى القصيدة!

يقول الشاعر أحمد مفدي<sup>(55)</sup>:

**أَلْفٌ - بَاءٌ**

**قَالَ الْمَسْكِينُ الْعَابِدُ بَيْنَ الْأَشْوَاكِ إِلَى جُزْرِ الْأَشْوَاقِ:**

**لَا تَسْأَلْنِي كَيْفَ تَهَدَّلُ هَذَا الْكَوْنُ سَنِيًّا!.....**

46- المواقف والمخاطبات. ص: 269.

47- الخط العربي وعلم الحرف (جمالية وأسرار ودلالات ورموز). أحمد بلحاج آية وارهام. البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة- المغرب. ط1: 2007م. ص: 41.

48- المقدمة. ابن خلدون. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1413هـ/ 1993م. ص: 413.

49- الكهف والرقيم. ص: 18.

50- الكهف والرقيم. ص: 23.

51- المبادي والغايات. ص: 56.

52- الكلام على أسرار البسملة. الشيخ نور الدين الباني القادري. رسالة ضمن كتاب: الرسالة القدسية. ص: 105.

53- السابق. ص: 106.

54- أبجدية الوجود. ص: 25.

55- مملكة الحروف. ص: 11-12.

مِنْ جَوْفِ (الطَّاءِ)!.....  
 لَا تَسْأَلْنِي عَمَّنْ خَلَقَ الطَّاءَ وَخَلَقَهُ بَسَّ السَّيِّئِ  
 فَكَانَ الْمَاءُ!.....  
 وَمَسَّتْ فِي السَّهْلِ سَنَابِكُ خَيْلٍ  
 تَبَحَّتْ عَنْ مَمْلَكَةِ الْحَرْفِ الْقَائِمِ مَشْدُوهاً!....  
 كَأَنَّ يُصَلِّي!....  
 بَيْنَ حَسَائِشِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ سِرِّ الْأَطْوَاقِ!....  
 تَمْشِي فِي حَقْلِ الْإِنْبَاءِ رُوَيْدًا!....  
 تَحْشَى أَنْ تَحْطِمَ خَيْلُ الْعَاشِقِ آيَةَ بَارِقَةِ (الطَّاءِ)!.....!

تتعاضد في هذا المقطع أربعة حروف عرفانية: (الألف والباء والطاء والسين)، ثلاثة من مقطعات فواتح القرآن الكريم، والباء مَبْدُوهٌ في البسمة و(براءة). فالألف مثال التكوين<sup>(56)</sup>، والباء أول ظهور الفتق<sup>(57)</sup>، والطاء محلُّ الأفلاك من الكون<sup>(58)</sup>، والسين عبارة عن سر الله تعالى وهو الإنسان<sup>(59)</sup>. وهذه الحروف منحت المقطع الشعري قوَّةً وجودية هائلة، وطاقةً من الكينونة كبيرةً.

وبوضع هذا النص في سياقه السياسي والتاريخي؛ يتجدد التأكيد على أن «إشارة (ألفِ بَاء) توحى بأن لكل وجودٍ بدايتهُ المؤسَّسةُ لما يأتي بعدها، تمامًا كوجود الألف الذي يستدعي وجودَ الباء»<sup>(60)</sup>.

وقد كرر الشاعر أحمد مفدي هذين الحرفين بصيغة (ألف باء) عشر مرات في هذه القصيدة، تارةً يستفتح بهما المقطع، وتارةً أخرى في ثنياه، وبين الآونة والأخرى تظهر الطاء والسين إلى جانب الألف والباء لِحَرَزِ سَدَى خِيوطِ هوية الذات وكينونة الوجود. يقول<sup>(61)</sup>:

قَدْ أَنْجَحَ (طَاءً) (لِلسَّيْنِ) وَفِي الْحُلْمِ خِيوطُ الْفَجْرِ الْآتِي  
 يَسْبَحُ شَوْقًا لِسَعَاعِ الْحَرْفِ الْعَائِبِ فِي الْأَنْوَاءِ...!  
 وَعَدَا تَلْقَائِي

56- كتاب خواص الحروف. ص: 31 - 32.

57- المبادي والغايات. ص: 101.

58- المبادي والغايات. ص: 113.

59- الكهف والرقيم. ص: 24.

60- الصوفية في الشعر المغربي المعاصر. ص: 276.

61- مملكة الحروف. ص: 28-29.

أَلِفٌ...!

بَاءٌ...!

أَحْمِلْهَا مِنْشَارًا سَنَنَهُ الْإِغْيَاءُ...!

تَطْرُقُ أَبْوَابَ مَدِينَتِنَا الْمُطْبِقَةَ الْأَجْفَانُ

هِيَ عَذْرَاءُ الثَّوْرَةِ حَجَلِي...!

تَهْرُبُ مِنْ مَبَى مَاسِحَةٍ أُخَذِيَةِ الْأَوْتَانُ...!

لِثَقِيمٍ لَدَى سَطْحِ الْمَبَى (أَلِغَا) مِشْقَةً لِحَرَادِ الرَّيْفِ إِذَا

تَطَعَى أَسْرَابَ الْجُرْذَانِ....!

فَمَزَاوَجَةُ الطاء بالسين (وهما حرفان ناريمان) تتناسلُ منها (طاسين)، وبالطواسين تتطهر الذوات بماء الشفوف. يقول أحمد مفدي: «إِقْرَأْ: طَاسِين...! هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ أَعْتَبَهَا لَا تُنْقَادُ لِمَنْ لَمْ يَتَزَوَّدْ بِزَادِ الشُّفُوفِ وَالتَّشْوُفِ...؟!»<sup>(62)</sup>. أما الألف فسيبقى منتصباً مشنقاً للخونة باعة الأوطان، ولكلِّ مَنْ اظْهَرَ مِنْ شَرَفِ الثَّوْرَةِ وَطُهِرِ الدَّاتِ؛ حتى إذا ما قُلْتُ: «أَلِفٌ بَاءٌ فَإِنَّكَ تُوْحِي لِلآخِرِ بِالْكَيفِ النُّورَانِيِّ الَّذِي يَتَجَدَّدُ، عبر لغة خاصة، تشبَّح كما يَسْبُحُ الطير، فترمز له بالحرف حَيْثُ تَنْجَلِي مَشْكَاهُ المعاني المتجددة»<sup>(63)</sup>. ويقول أيضاً<sup>(64)</sup>:

قَدَمَرَّ ( سَلِيمَانُ ) مِنْ الْوَادِي

وَالطَّاءُ ( كَطَاسِينِ ) بِوَادِي النَّمْلِ

صَدَى الْفُرْقَانِ وَسَوْرَتُهُ لَا تَنْحَطُّمُ....!

وإن من معاني الطاء التخلُّص من ثقل، قال به الحرَّالي في رسالته عن تفهيم معاني الحروف<sup>(65)</sup>، وإن من معاني السين إنباءٌ مُؤَفِّ بما اشتملت عليه الذوات ظاهراً وباطناً وما بينهما<sup>(66)</sup>. ومحضلة تجميع معنيهما معاً تخليصُ النفوس والذوات مما يوهنُهُما، وتطهيرُهُما من كلِّ ما يُضَعِّفُهُما؛ وعطفاً على منطوق ما أنشده الشاعر أحمد مفدي، يُفْضِي الأمرُ بنا إلى القول: إن رمزية الطاء والسين تُوْحِي إلى حلم الخلاص مما يثقل الذات من أوزار الخذلان، وما يوهن النفس من تقلبات الخونة وباعة الأوطان! ولذلك صَدَحَ مفدي بالقول:

62- مملكة الحروف. ص: 3.

63- مملكة الحروف. ص: 3.

64- مملكة الحروف. ص: 92.

65- تفهيم معاني الحروف. الحرالي. ص: 46.

66- نفسه. ص: 49.

«قَدْ أُتِيحَ (طَاءً) (لِلسَّيْنِ) وَفِي الْحَلْمِ خُيُوطُ الْفَجْرِ الْآتِي  
يَسْبَحُ شَوْقًا لِسَعَاعِ الْحَزْفِ الْعَائِبِ فِي الْأَنْوَاءِ...!».

ويعود الشاعر مفدي ليستلهم من سر الحروف إشارات النصر وهو يُصَوِّرُ وقوف أهل الحق سداً منيعاً في وجه أهل الباطل ببسالة وإيمان، متخذاً من المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي ومَنْ آمَنَ برسالته الجهادية أنموذجاً للحق واليقين، ثُمَّ مِنَ الإسبان الغاصبين رَمَزًا للباطل والضلال، وهم يتكبدون أَمْرًا هزيمية في موقعة «أنوال» التاريخية في الريف المغربي الأيبي. وهنا ينتصب الأليف المهموز لواءً يلهج بالحمد على نعمة النصر، «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»<sup>(67)</sup> و«إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»<sup>(68)</sup>؛ وتعاصد الحاء والميم والبدال مع الأليف، مُقَطَّعَةً، لِنَتَشَّأَ منها أعراش الحمد تراتيل تخترق حجب الأفلاك. يقول<sup>(69)</sup>:

أَلِفٌ حَاءٌ مِيمٌ دَالٌ...!  
أَعْرَاشٌ تَخْتَرِلُ الْحَمْدَ وَتُحْزِي طُنْبَ الْأَنْدَالِ...!  
أَلِفٌ حَاءٌ مِيمٌ دَالٌ...!  
مَعْرَكَةٌ مَا بَيْنَ نُحُومِ الصَّحْرَاءِ وَمَا  
يَنْسَاحُ سَفِيحاً بَيْنَ مَسَارِفِ «أَنْوَالٍ»...!  
أَيَّامَ الْمُسْتَى كُنْتَ السَّعْفَ الْمُرْحَى  
وَالْقَلْبَ الطَّافِحَ بِالْحَبِّ وَكُنْتَ السَّنْدَا...!  
سِنْدَانًا كُنْتَ تَفُلُّ حَدِيدَ الْقَيْدِ  
وَتَمَسُحُ عَنْ وَجْهِ الْحَيِّ الْكَمْدَا...!  
كُنْتَ تُعَلِّمُنَا كَيْفَ نَفُكُ الْأَعْلَالَ عَنِ الْأَقْدَامِ  
لِيَكِي تَمْضِي نَائِبَتَهُ، وَبِلَا رَسَنِ...!  
كُنْتَ إِذَا عَمَّرَ الْعَمْرُ مَصِيفًا لِظَبَاءِ حَائِرَةٍ...!  
تَأْوِي فِي قَلْبِكَ، أَوْرَادَ الْعُرْبَاءِ...!

67- سورة الأنفال. الآية: 10.

68- سورة محمد. الآية: 8.

69- ديوان: يا ربح الجنة هُيَّي. أحمد مفدي. مطبعة أنفوبرانت، فاس. ط1: 2015م. ص: 116.

## الجيم والبدال / اليقين والتعالى:

الجيم من عالم الشهادة والجبروت<sup>(70)</sup>، والبدال من عالم الملك والجبروت<sup>(71)</sup>، والجيم يقين الحق<sup>(72)</sup>، والبدال علو الحق<sup>(73)</sup>، والجيم للماء والبدال للتراب<sup>(74)</sup>، بذلك حَدَّتْ العارفون وصدَّق السالكون.

وقد أنشد ابن عربي مفصِّحًا عن سر الجيم والبدال<sup>(75)</sup>:

الجيم يرفع من يريد وصاله \* لمشاهد الأبرار والأخيار  
يرنو بغايته إلى معبوده \* وببدئه يمشي على الآثار  
هو من ثلاث حقائق معلومة \* ومزاجه برز ولفح التار

\* \* \* \* \*

البدال من عالم الكون الذي اتقلا \* عن الكيان فلا عين ولا أثر  
عزَّتْ حقائقه عن كل ذي بصر \* سبحانه جل أن يحظى به بشر  
فيه الدوام فجود الحق منزله \* فيه المثاني ففيه الآي والسور

وقيل سمي الجيم جيمًا لأنه جمع نواميس التُّطَاء وَزُحْرُفُهُمْ أجمعين<sup>(76)</sup>.

وإن الشاعر أحمد مفدي قد بنى مقاطع قصيدته الحروفية: «دخول المُحْرِمِ في السعي بين صفا الأجدية الأولى» على ألف باء، وجيم دال، وهاء واو. وهذه الحروف تشكّل أوائل الأجدية: أبجد هوز... إلخ. وتجمع حروف «أبجد» بحسب سيمياء الحروف- عناصر الطبيعة الأربعة: الألف للنار، والباء للهواء، والجيم للماء، والبدال للتراب. ولكن الشاعر أحمد مفدي يحرص على كسائها لبوسًا رمزيًا وإيحائيًا خاصًا، يسعفه في نقل أوجاع الأمة في زمن الصمت الموعّل في الأحداق.

70- المبادي والغايات، ص: 223.

71- المبادي والغايات، ص: 226.

72- أجدية الوجود، ص: 78.

73- أجدية الوجود، ص: 78.

74- المقدمة، ابن خلدون، ص: 413.

75- المبادي والغايات، ص: 223 و 226.

76- الرسالة الموسومة بكشف الحقائق، حمزة بن علي، ضمن كتاب: النقط والدوائر (من كتب الدرر الدينية)، تحقيق كريستيان فريدرخ سيبلد، ترجمة محمود كبيسو، شركة بيت الوراق للنشر والتوزيع المحدودة، بغداد، ط: 2012م، ص: 157.

ومن ذلك قوله<sup>(77)</sup>:

جِيمٌ - دَالٌ

تَسْأَلُنِي ...!

وَلَمْ جِئْتَ اللَّيْلَةَ تَسْأَلُنِي ...!

هَلْ كُنْتُ أَنَا أَسْأَلُ ...!

جِيمٌ ...! دَالٌ ...!

جَسَدُ الْجِيمِ الْأَجْوَفِ قَدْ يَتَحَوَّلُ بِالْخَرَطِ الْأُفْقِيِّ جَحِيمًا

فُرْنًا...! تَنْضُجُ فِيهِ الْأَسْمَاكُ الْبَشَرِيَّةُ ...!

( تَنْسِلُ ) مِنْهُ هَبَاءٌ كَلِمَاتُ السَّاعِي نَهْدًا قَدْرِيًّا...!

يَخْضُنُ فِيهَا الْأَعْجَامُ ...!

بِيضًا تَخْتِمُ أَفْوَاهَ نِعَاجِ الْحَرَكَةِ ...!

بِالْقَصِّ الْوَحْشِيِّ الْعِبْرَةِ

حَتَّىٰ إِنْ طَارَ الْوُزُقُ عَمَامَا

يَذْرَعُ جِيدَ الْقَارَةِ فِي لَيْلِ الْهَجْرَةِ ...!

يُعْجِمُ مَا فِي الْكُونِ مِنَ الْأَحْرَفِ إِنْ نُسِبَتْ

وَيُرَقِّمُهَا حَرْفًا...! حَرْفًا...!

المقطع الشعري تزكّم منه رائحة الدمع والقمع، والترهيب والتعذيب، على نار مُعْجِمٍ من الأوجاع المقيتة، تتشكّل جمراته من حطب: الجحيم، الفرن، تنضج، الأسماك البشرية، هباء، تختم الأفواه، نعاج الحركة، القصّ الوحشي، ليل الهجرة...

فالجحيم هنا ليس عباءة جَبَرَتِ الجِلاَد، فَخْتَمَ الأفْوَاه، وَجَلَدَ الأجْسَاد، وَرَقِّمَهَا مِثْلَ قُطْعَانٍ نِعَاجٍ تَخْضَعُ لِأَهْوَاءِ مَالِكهَا دُونَ كَلَامٍ. وفي المعنى ذاته يقول أيضا<sup>(78)</sup>:

جِيمٌ ...!

دَالٌ ...!

إِزْرُ الْقَصَبِ الْمَغْرُوسَةِ فِي الْجُدْرَانِ كَمَقْبَرَةِ النَّهْدِ النَّاعِسِ ...!

لَنْ يُوقِفَ حَافِرَ أَفْرَاسِ الْوَحْشَةِ لَوْ يَزْفُسُ فِي إِشْرَاقِ

77- مملكة الحروف. ص: 31- 32.

78- مملكة الحروف. ص: 37- 38.

فَجَزْ أَنْوَاتِ الْبَلَدِ النَّكِصِ...!  
 وَالآنَ... وَأَنْتَ هُنَا تُرْغِي كَجَحِيمٍ لَيْسَ يُطَاقُ...!  
 تَتَنَاسَلُ أَحْرَفُنَا / فِي أَيِّدِي مَنْ كَانُوا فِي الدَّرْبِ رِفَاقُ...!  
 يِّي تُعْطِي مِنْ لَهَبِ الْحَرْقِ / خُوَارًا  
 مِنْ جَسَدِ الْحَرْفِ / إِشَارَاتٍ تَلْتَمِعُ...!  
 هَلْ يُورِقُ إِطْفَاءً لَيْلٍ فِي مِرْوَحَةِ الشَّمْسِ عَلَامَهُ...!؟

فالشاعر يُلبِّسُ الحرفَ المحترقَ إشاراتٍ تلتمع نضراً موقناً، مؤذناً بالثورة في وجه كلِّ عابِسٍ يُرْغِي جحيماً ليس يُطاق. والجيمُ يقينٌ بالتَّصرُّ الآتي، والدالُّ تعالٍ عن التُّكوصِ والخذلان.

### الهاء والواو/ الهوية والودّ:

الهاء من حروف الغيب<sup>(79)</sup>، وهو بصر الله ﷻ<sup>(80)</sup>، وهو إشارة إلى الأزلية<sup>(81)</sup>، وهو حرف هوائي ترابي باطني قائم بنفسه، له الهوية، وله في العلويات نور مطلق يتصرف في المحبة والتبهيح، ولذا كان من حروف المهمات<sup>(82)</sup>. وأما الواو فحرفٌ شريفٌ<sup>(83)</sup> من عالم الملك والشهادة والقهر<sup>(84)</sup>، وهي منزلة نارية سعيدة، صالحة للألفة والاجتماع، وفيه بعض رطوبة دالة على الودِّ والألفة<sup>(85)</sup>. والهاء والواو هو الهو وعين الهو، كما يقول ابنُ عربي<sup>(86)</sup>.

واستعمل الشاعر أحمد مفدي الهاء والواو في سياق الهوية والودِّ؛ يتغَيَّبُ اجتثاث الوهن الجاثم على أنفاس الوطن، وتخليصه من الزيف الماحق الصَّارِبِ في الأعماق، إثباتاً للهوية وتعميماً لأواصر الألفة والودِّ. كما أنه أزر سر الهاء والواو بسر حروف أخرى تختزن طاقاتٍ ثوريةً وتطهيريَّةً، من قبيل: الألف، والباء، والجيم، والحاء، والدال، والثاء، والراء. ومن ذلك قوله<sup>(87)</sup>:

79- المبادي والغايات. ص: 220.

80- الكهف والرقيم. ص: 30.

81- كتاب خواص الحروف. ص: 34.

82- الخط العربي وعلم الحرف. ص: 56.

83- رسالة: سر الحروف لابن عربي. ص: 20.

84- المبادي والغايات. ص: 223.

85- الخط العربي وعلم الحرف. ص: 57.

86- رسالة: سر الحروف لابن عربي. ص: 21.

87- مملكة الحروف. ص: 39، 40، 41، 42.

هَاءٌ....!

وَأُو...!

هُوَ يَزْنُو

يَتَسَاءَلُ هَلْ أَفْضَرُ مِنْ أَلْفٍ...بَاءٌ....!

وَأَنَا أَعْبُرُ هَذَا الْمَجْهُولَ فَلَا أَلْقَى أَحَدًا...؟!

يِيُّ أَعْجَنَ مَخْلُوقًا قَاتِلَ بِالْحَرْفِ الْمُورِقِ،

فِي بَابِ الدَّهْشَةِ تَحْمِلُ سِرَّ الهَاءِ....!

أَرْقُصُ بَهْلُولًا....! فَتَشُدُّ الْبَهْلُولَ حِبَالُ الْحَالِ....!

يِيُّ يَعْبُرُ مِنْ جِيْمٍ، جِسْرًا

يَتَشَابِكُ فِي الدَّاتِ بِحَرْفِ الدَّالِ....!

لِكِنِّي....!

فِي فَلَقِ الْفَجْرِ الْبَاكِرِ أَفْتَحُ سِفْرَ التَّكْوِينِ الْهَمْجِي....!

أَسْتَنْطِقُ نَجْمَ الشَّرْقِ الْهَرَمِيِّ إِذَا شَاخَا....!

وَأَرَاهُ عَنِيْمَةً مَنْ...!

يَبْحَثُ فِي مَأْوَى الْجَيْشِ الْهَارِبِ مِنْ مَعْرَكَةِ الصُّفْرِ....!

نَادَتْهُ عَشِيًّا نَاعُورُهُ جِيْمٍ فِي مَشِيخَةِ الْأَقْيَالِ....!

تَحْفَرُ فِي دَقْنِ النَّهْرِ

بَقَايَا الْأَسْمَالِ....!

كَيْ لَا نَعْبُرُ....!

وَضِيَاءُ الْحَرْفِ يُسَافِرُ فِي الْأَفَاقِ

وَيَزْنُو فِي اللَّيْلِ عَلَى عَصَبِي....!

كَشَّجِرَاتِ ثُورِقٍ فِي الطُّرُقَاتِ إِسَارَهُ....!

وَالشَّادِي

يَتَقَيُّ ظِلَّ سَنَاهَا، وَيُنَادِي:

نَاءٌ - وَأَوَا - رَاءٌ

مَنْ يَرْحَلُ مِنْ لَفْحِ هَجِيرِ الْقَتْلَةِ....!

مع هاء الهوية وواو الودّ، تلتئم كل الحروف وتتآلف لتزهّر ثورة الحرف الهادر، فتتشكّل رؤيا وجودية جديدة، تتخذ من أنداء الوطن النائر علامة تَصْرُ آت...! أو هكذا أوحى التنجيمُ إلى البهلول وقد غاب في أحوال الحضرة فرأى ما رأى! فكان أن رأى جيوّس الأعداء تجرجر أذيال الخيبة من «معركة الصّفر»! تطاردها لعنة الثائرين العابرين فوق الجسر إلى المجهول.

ويستطرّد الشاعر مُنْشِدًا<sup>(88)</sup>:

هَاءٌ....! وَاوٌ....!

أَفْعَى تَنْقَوُسُ بِالْإِسْهَالِ كَقَبْرَةٍ حَاصِرَهَا صَيَّادُ الْأَسْقَامِ ...!

وَأَنَا لَمْ أَجْمَعْ بِاللَّيْلِ زَكَاةَ الْمَوْسِمِ فِي هَذَا الْعَامِ....!

هَاءٌ....! وَاوٌ....!

هُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الذَّاتِ وَمَا فِي أَعْوَارِ الدَّوْ....!

إِيْعَالٌ أَعْمَقُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ تَرْقُدُ فِيهِ الْقَتْلَى... لَوْ

تَشْهَدُ أَنَّ الْقَاتِلَ رَعِيدٌ، لَكِنْ لَا يَنْدَمُ....!

فَأَحْزَنُ....! وَمَا كُنْتُ بِقِسْمَتِهِ ( الصَّبِيْزَى )

أَشْقَى أَوْ أَحْزَنُ....!

أَحْزَنُ يَا صَاحِبَتِي

إِنْ جَهَلَ الْعَابِرُ (خَيْمَةَ) حَرْفِ (الهِاءِ)....!

وَسَعَى يَرْفُلُ فِي الْأَوْهَامِ وَلَمْ يَعْلَمْ

أَنَّ الْحُزْنَ رُقَاقٌ/ يَمْتَدُّ أَمَامَ مَدَائِنِنَا أَسْوَارًا صَمَاءً....!

كَشْرِيْطٍ/ تَنْجَمُّعٌ فِيهِ الْأَهْوَاءُ....!

فَاسِرٌ بِأَجْنَادِ الْحَرْفِ صَبَاحًا....!

صُمِّرَ الْبَحْرَ إِلَيْكَ رُغَاءً

فَحَيَاةُ الْقَاصِرِ تَنْأَى

لَكِنْ (إِنْ صَاحَ الشُّعْرَاءُ)....!

تَاءٌ تَاءٌ تَاءً....!

فَرَّ الْجَبَنَاءُ....!

وَبِحَوْمَتِهِمْ أَشْجَارُ الصَّيْغَةِ نُعْصِنُ فِي حَلْقِ الشَّادِي  
 رِيحًا لَوَّاحَةً وَجْهٍ عَفِنٍ....!  
 آتٍ مِنْ زَمَنِ السُّحْتِ السَّادِي....!  
 كَسْحَابَةِ عَمٍّ تَسْبُرُ كَهْفَ الْقَدْرِ الْمَقْدُورِ....!  
 وَتَحْرِقُ قُمْصَانَ الْعِشْقِ مِنَ الدَّابِرِ....!

أيُّ عنفوانٍ هذا يكتنف الحروف فتشورُ في وجه السَّادي «وتحرقُ قمصان العشق من الدابر»؟! أي حروفٍ تلك تلبسُ هيئة الأفاعي وقوافي الشعراء، فتفرّ منها الجبناء خوفًا وهلعًا؟! إنها حروف الغضب الساطع «الآتي من زمن السحت السادي، كسحابة عمٍّ تسبُرُ كهف القدر المقدور».

ومعلوم أن الثاءَ والواوَ والراءَ حروفٌ استفتح بها الشاعر أحمد مفدي عدة مقاطع شعرية، وكلها تلتهب بأنفاس الثورة وجمم الغضب. ومنها قوله<sup>(89)</sup>:

ثَاءٌ....! وَأَوْ....! رَاءٌ....!  
 لَا تَنَائِي....!  
 مَا زِلْتُ أَعَانِقُ فِيكَ جُنُوحَ الْجِيْدِ الْمُتَعَبِ إِنْ أَضْحَى  
 يَجْنَحُ لِلرَّقِصِ عَلَى مَائِدَةِ الْأَسْقَامِ....!  
 لَمْ تَشْرَبْكَ لِقَافَاتُ الْعَقْمِ الْعَابِرِ نَهْرَ الْأَوْهَامِ....!  
 فِي رُدْهَةِ أَعْمِدَةِ الدُّخَانِ....!  
 مَا زَالَ الْعَاشِقُ فِي مَلَقَاكِ يُقَاوِمُ ... يَطْرُقُ بَابَ السَّجْنِ....!  
 يُصَارِعُ مِطْرَقَةَ السَّجَانِ....!  
 وَأَنَا....! أَنْسُجُكَ أَشْعَارًا وَقِلَادَةً....!  
 تَلَقَّاكِ مُعَلَّقَةً فِي جُذْرَانِ الْحَرَبَةِ  
 تَصْفَعُ فِي مَفْتَرِقِ الْوَادِي أَجْنَحَةَ السَّادَةِ وَالْقُرْصَانُ....!

وكذا قوله<sup>(90)</sup>:

ثَاءٌ...! وَأُوٌّ...! رَاءٌ...!  
 عُودِي لِلأُمَّةِ فَالطَّفَرَةُ فِي لَيْلِ العَفْوَةِ لَا تُجْدِي...!  
 عُودِي...!  
 تَتَصَاحَجُ أَحْرُفُنَا فِي صَحْرَاءِ الوَهْنِ...!  
 يَيُّ تُنْجِبُ أَجْيَالًا جَامِحَةً تَرْكَبُ عَاصِفَةَ الإِشْرَاقِ...!  
 تُحْمِدُ فِي القُرْصَانِ ..  
 أَلْسِنَةُ النَّاشِزِ عَن قَاطِرَةِ الوَعْدِ إِلَى أَحْبِيَّةِ الإِبْرَاقِ...!  
 عُودِي...!  
 قَدْ حَاصَرَني القَحْطُ وَلمَ يَبْقَ سِوَى أَمْيَالٍ قَاحِلَةٍ...!  
 يَا صَاحِبَتِي...! إِنْ عَادَتْ سَارِيَةُ الرِّضْوَى  
 فَتَأَمَّلْ كَيْفَ تَعُودُ الأَرْضُ إِلَى الإِنْجَابِ بِلا سَقْمٍ...!

وإن الشاعر أحمد مفدي يستلهم من أبجدية الحروف الصوفية أسراراً عرفانية يُخاطبُ بها أهل الإشارة، إذ هم الأقدر على فكِّ الشُّفَرَاتِ وَحَلِّ طَلاَسِيْمِهَا المِبهْمَةِ؛ لكنه حين توجَّه إلى العامَّةِ بالخطابِ الصوفيِ الحروفي في سياق الثورة والتضال ضدَّ الاستبداد والاستعباد، والاسترقاق وتقييد الحريات، فسَّر معاني الحروف وأوضَح إيحاءاتها، فَحَلَّت العبارةُ- حَصْرًا هُنا- محل الإشارة. يقول<sup>(91)</sup>:

الأَنِّ... أَنتُمْ قُوَّةٌ... وَنِدَاءٌ...!  
 وَوَيْقَهُ...  
 أَوْضَحَ أَحْرُفِهَا الأُولَى: الثَّوْرَةُ يَا سَادَهُ...!  
 مِحْرَارُ حُضُورِ جَمَاهِيرِ الأُمَّةِ...!  
 وَإِذَنْ...! هَلَّا تَتْرَاحُ الأَثْقَالُ المُوْبِقَةُ الدُّكْرَى  
 عَن كَاهِلِ سَعْبٍ..  
 يَرْفُضُ فِي طَلْعَتِنَا أَدْرَانَ الدَّلَّةِ...!؟

ويقصد بأحرفها الأولى: ثاءٌ، واوٌ، راء.. التي ترددت في عدة مقاطع من شعره الثوري، وصرخاته الراضية للإذعان والخنوع.

90- مملكة الحروف. ص: 96- 97- 98.

91- ثورة الأموات. ص: 55.

## الحاء والباء / الحب حُرْقَةٌ وَخِرْقَةٌ

في رحابِ الحاءِ والباءِ حَجُّ العاشقين وَمَطَافُ المحبِّين، وبينهما يهروُلُ السُّعَاةُ لأداءِ رُكْنِ صَفَا الوَجْدِ ومروةِ المتعلِّقينِ الوالِهين، فَبَسَّرَ الحاءِ والباءِ تَفَجَّرَتِ يَنَابِيعُ الحَيَاةِ رَمَزَمًا دَقَاقًا، وانسابتِ شرايينها ماءً مُهْرَاقًا!

وفي مثل هذا المعنى يَنْشُدُ الشاعر الموريتاني أدي ولد آدب في قصيدته «رحلة بين الحاء والباء»<sup>(92)</sup>:

شَاطِئًا بَحْرِ الحُبِّ: حَاءٌ.. وَبَاءٌ \* يَبْنَ هذا وذاك.. سِرٌّ.. فَصَاءٌ  
بَيْنَ دَيْنِ الحَرْفَيْنِ فَاصَتْ حُرُوفٌ \* وَدَمْعُوعٌ.. وَأَنْفُسٌ.. وَدِمَاءٌ  
بَيْنَ دَيْنِ الحَرْفَيْنِ رِحْلَةٌ تَوُوقِ \* خَائِضُوهَا العُشَّاقُ.. والأولياءُ  
كُلَّمَا لَاحَ بالتَّجَلِّي.. جَمَالٌ \* أَفْلَعُوا.. حَيْثُ مَا هُنَاكَ انْتِهَاءُ  
آهٍ يَارَبُّ إِنَّ حَرْفَيْكَ: «حُبٌّ» \* مِثْلَ «كُن».. فَاعِلٌ بِهَا- مَا تَشَاءُ  
وَلْتَدْعُنَا- فِي الحُبِّ- تَحِيًا وَنَفْتَى \* فَمَقَامُ الحُبِّ.. الجَمِيلِ.. اصْطِفَاءً!

ومن هذا الباب أَسَرَّ الشاعر أحمد مفدي بمشاعر الحب والعشق إلى حرفي الحاء والباء، فحفظًا السر وأودعاه في قلبِ القصيدة مأمونًا مكنونًا؛ هنالك في شطآنها كانت «سيدة الأسماء» تتنسك في محرابِ العشق الصوفي، وتترقبُ البُشْرَى تحمِلُهَا الصَّافِنَاتُ الجياد:

ذِي حَمَمَةِ الخَيْلِ بِبَابِكَ تَصْهَلُ يَا سَيِّدَةَ الأَسْمَاءِ...!

هِيَ فَاتِحَةُ الإِبْحَارِ إِلَى سُطْحِ نِكَ...!

والأنواءُ بها كانتُ شارةً حُبِّ...!<sup>(93)</sup>

لكن! هل مشكاةُ الحُبِّ، في هذا الزَّمنِ الداعر، مازالت تومضُ إشراقاتٍ تهترُّ لها أشواقُ سيدة الأسماء! تلك الناسكة الزاهدة القائمةُ في حُلجانها بعيدًا عن أَسْمَاعِ الكَدْبَةِ؟!

يَحْمَلُ الشاعر أحمد مفدي حرفي الحاءِ والباءِ برقيةَ الجواب، فينكشف السر ويتفتى الخبر! ومن فحواها<sup>(94)</sup>:

92- ديوان: بصمة روجي. أدي ولد آدب. ص: 69-70 (بتصرف).

93- ديوان: هودج العُشَّاق. أحمد مفدي. مطبعة وراقة بلال، فاس. ط1: 2018 م. ص: 102-103.

94- السابق. ص: 80-81.

قال الواقف في دوامة عاصفة الوجد أما  
تدريّن مقامات العشق ومن كان زماناً يسكن قلبك حباً...؟!  
قالت: لا...!

قال أنا الحب وكنت المسقى...؟!  
قالت: جفّ مِدادُ الحُبِّ وَعُلِقَ حَرْفُ الحاءِ ولم يَبْقَ سِوَى العُثْبَى...!  
والبَاءُ صَحَائِفُ أَنْوَارٍ كَانَتْ فِي عَرْسِ الْأَشْوَاقِ بَتَفْسِجَةً...!  
في القلبِ وَحَارِسَهَا  
مَلْفُوفٌ فِي أَزْهَارِ بَسَاتِينِهَا...!  
يَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنٍ مَنْ يَهْوَاهَا...!  
في العَلَسِ...!  
هَلْ قَالَ سَلَامًا...؟!

لقد جفّ مِدادُ الحُبِّ وَعُلِقَ حَرْفُ الحاءِ، فأَيُّ زمنٍ هذا الذي غَلَبَتْ فِيهِ شِقْوَةُ المادّةِ  
على سُمُوّ الروحِ وطُهرِ الذاتِ؟! هذا الزمنِ الداعر<sup>(95)</sup> الصّامت<sup>(96)</sup> الخرافي<sup>(97)</sup> المسي<sup>(98)</sup>  
المخصي<sup>(99)</sup>... لكن المحبّ مكتوبٌ عليه أن يستمسك بأوصال المحبة، وإن كان الثمن باهضاً،  
فذلك قَدْرُهُ:

عَنْ لِي حِينَ مَنَامِي بَاشِقُ جَلِي بَرِيْقًا  
أَيُّ إِسْرَاءٍ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْمَاتُ عَشِيْقًا  
قال: مَنْ يَهْوَى حَبِيْبًا مَاتَ، فِي العَشْقِ، عَرِيْقًا<sup>(100)</sup>

95- ديوان: سيدة الإشراق. ص: 24.

96- ديوان: تأملات في تراثيل الناقة. أحمد مفدي. مطبعة أنفوبرانت، فاس. ط1: 2014م. ص: 145.

97- نفسه، ص: 140.

98- نفسه، ص: 35.

99- نفسه، ص: 59. وديوان: ثورة الأموات، أحمد مفدي. مطبعة أنفوبرانت، فاس. ط1: 2015م. ص: 120.

100- شجرة الابتهاالات. ص: 27.

وبذلك يسمي الحُبَّ حُرْقَةً وَحُرْقَةً، فلا احتراق دون احتراق، ولا مشاهدة دونما مُجاهدة ومكابدة.. فتميمَةُ الحُبِّ تريقاً من الطُّهْرِ يتشكّل في تجاويف قوسِ الحاء. يقول<sup>(101)</sup>:

فِي طَلَسَمَ هَذَا الحُبِّ إِذَا شِئْتِ وَنُنْ

تَجِدِي فِي الغَيْبِ نَعَاوِيدَهُ...!

حَتَّى لَوْ أَحْرَقْتِ بَحُورَ العَالَمِ فِي حَرْفِ الحَاءِ...!

حَتَّى لَوْ أَضْرَمْتِ النَّارَ عَشِيًّا

فِي جَبَلِ الوَثَيْتِيَّةِ والغَابَاتِ البَلْهَاءِ...!

### الكاف والنون/ الكينونة العاشقة:

اتَّفَق أهل الولاية أن معنى الكافِ كَأَفِ الكُنِّ، وهي الكلمة التي على علة الكون كله، والأمور كلها في الغيب مكتوبة محكمة مرتبة، وبالكُنِّ أظهرها<sup>(102)</sup>؛ لَأَنَّ «كُنَّ» حرفٌ وجودي<sup>(103)</sup>. وأما النون فإنها مظهرٌ لكلامه تعالى، كناية عن اللوح المحفوظ، كما أنها عبارة عن انتقاش صور المخلوقات بأحوالها وأوصافها التي هي عليها، وما هذا الانتقاش إلا كلمة الله لها «كُنَّ» فهي تكون، ولذلك فالنقطة التي فوق النون إشارةٌ دالة على نقطة الوجود<sup>(104)</sup>. وقيل: الميم السماوات والنون الأرض<sup>(105)</sup>، وقيل: الكاف قنديل والنون فتيلة، فإذا رأيت المشكاة التي في قوله ﷺ: «مَثَلُ نُورِهِ كِمَشْكَاتٍ»<sup>(106)</sup> رأيت نورَ الكافِ والنون<sup>(107)</sup>. وأنشد ابن عربي<sup>(108)</sup>:

نُونُ الوجودِ تَدُلُّ نَقْطَةً ذَاتِهَا \* فِي عَيْنِهَا عَيْنًا عَلَى مَعْبُودِهَا

فَوُجُودُهَا مِنْ جُودِهِ وَيَمِينِهِ \* وَجَمِيعُ أَكْوَانِ العُلَى مِنْ جُودِهَا

فَأَنْظُرُ بِعَيْنِكَ نِصْفَ عَيْنِ وَجُودِهَا \* مِنْ جُودِهَا تَعْنُرُ عَلَى مَفْقُودِهَا

101- صهيل العشق. ص: 38.

102- كتاب خواص الحروف. ص: 45.

103- سر الحروف. ابن عربي. ص: 21.

104- أبجدية الوجود. ص: 77.

105- الفتوحات المكية. 1/167.

106- سورة النور، الآية: 35.

107- الكلام للشيخ روزبهان. يُنظر: الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية. الهامش الأول. ص: 63.

108- الفتوحات المكية. 1/112.

هذا وإن أمر الله منصرف بين الكاف والنون. قال تعالى ﷻ: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ»<sup>(109)</sup>.

وقد أبدع الشاعر أحمد مفدي ديوان: «أنا... مَنْ أَكُون...؟!» ونشره عام: 2018م. وأطلق عليه اسمًا آخر هو: «الكينونة العاشقة».

ومعلومٌ أنّ هذا العنوان (أنا... مَنْ أَكُون...؟! ) يحمل في تجاويله معنى الحيرة والتّيه، وهل أوعرُ على العارف من أن يثبت أنه داخل دائرة الوجود، ويرتقي بها في مقامات العشق إلى مرتبة الحقيقة والإدراك؟!

السؤال الوجودي في عتبة العنوان إشراقه بحثٌ عن الذات وسط زخم الظنون، وومضةٌ تفتيشٌ عن الهوية «بين الغموض والشفوف، بين الحقّ والباطل، بين الظهور والخفاء، بين الشكّ واليقين، تُسائلُ الذات والوجود»<sup>(110)</sup>. وفي شرنقة هذه الدوامة تتناسل الأسئلة المؤشكلة، تبعًا، على هذا النحو: «الذات تشتتني أن تعرف كيف امتزج الماء بالنار، والطيبُ بالنور، وهل كان الوجودُ غيمَةً الوجد العاشق للربُّيا...؟! وهل بالربُّيا ترتقي الذات الشاعرة لتسقى رحيقَ العشق من عين اليقين...؟! وهل العاشقُ يشقى بعشقه وينماتُ فيه هيأماً ومهابةً وجلالا...؟! والمعشوقُ يتمنّع/ يتخفى/ بين ظلاله/ لا يُبدي من جماله وسره/ وبهاءِ أنواره/ إلا قليلا...؟! فإن تجلّى انكشف سر العاشقين...! فهل تعشقون...؟!»<sup>(111)</sup>.

هذه الأسئلة تُفضي بالشاعر إلى دائرة الوجود بسلام، حيث ترتقي به أحوال الحضرة إلى عين الحقيقة، وتفضي به إلى أفلاك المشاهدة، وهنالك يتساءل<sup>(112)</sup>:

109- سورة يس. الآية: 81. (المصحف المحمدي برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، رضي الله عنهم). ودُكر فعل الكينونة (كُنْ، فيكون) في القرآن الكريم في قوله تعالى:

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ» (سورة آل عمران، الآية: 58).

«وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ، فَيَكُونُ» (سورة الأنعام، الآية: 73).

«إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ» (سورة النحل، الآية: 40).

«مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ، سُبْحَانَهُ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ» (سورة مريم، الآية: 34).

«هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ» (سورة غافر، الآية: 68).

110- من عتبة الإهداء بديوان: أنا... من أكون...؟! أحمد مفدي. مطبعة ورافة بلال، فاس- المغرب. ط: 2018م. ص: 5.

111- السابق. ص: 5 - 6.

112- ديوان: أنا... من أكون...؟! ص: 87 - 88.

لماذا أذانُ الوجودِ يكونُ  
 وكلُّ المعاني طَوَّتها سُؤُونٌ...؟!  
 إذا لَمْ نُحبِّ حياةَ الشُّهودِ  
 بما لا نَرَاهُ حُدوسًا ولكنْ نعيه جليًّا يكافٍ ونُونٌ...!؟

إذًا، حرفًا الكينونة مفتاحُ كشفِ الأسرار، وجلاءِ اليقين، وثباتِ الوعي بما انبهم عن الحدوس. فالشاعر واع تمامَ الوعي أنّ «سر الوجودِ يكافٍ ونُونٌ»<sup>(113)</sup>، وأن الكافَ بُراقٌ يمتطيه إلى سِدرةِ الشُّوقِ رُضيًّا، وإلى مصافِّ الفرقيدين رُفَعَةً وعلوًّا. يقول في حالٍ من أحواله<sup>(114)</sup>:

إلى سِدرةِ الشُّوقِ مَمْشى المُجِبِّ رُضيًّا...!  
 وكنْتُ أنا بينَ كافِ الوجودِ أَجولٌ...!  
 تَراني هنا أُسْتقي منَ حياضِ الذُّهولِ  
 شَرابًا تَعْتَقُ حَمْرًا منَ الرُّنْجَبيلِ...!  
 ويقول في حالٍ آخر<sup>(115)</sup>:

فَأَسْمُو بِحَرْفي إلى الفَرْقَدَيْنِ \* لَكَيْ لا يَرَاهُ زَيْمُ البَرَايَا  
 وإن هذا السُّمُو إلى مقامِ الفرقيدين وسِدرةِ الشُّوقِ لا يتحقَّقُ إلا للأصفياءِ الأولياءِ، والمحبِّينِ  
 الأنقياءِ، ممن عرفوا فاغترفوا، فَصَفَتْ نُفوسُهُم، وَايَصَّتْ قلوبُهُم .  
 وشاعرنا ينشد هذا المقام ويجاهد لإدراكه، فلا مشاهدة دون مكابدة، والسر في حربي  
 الكينونة، وهنا يقف في باب الرُّجاء متوسِّلًا<sup>(116)</sup>:

فَمَنْ لي بِقَلْبٍ سَدِيدِ البِياضِ...؟! \* تُراهُ بِسَبْغِ لَذِيذِ، يَصُونُ  
 عَهودَ الوِصالِ وَطِيبَ اللِّقَاءِ \* وَسِرِّ السَّقَايَةِ كَافٌ وَنُونُ  
 تَمَامِ حُرُوفي على وَجَّتَيْهَا \* يَها فِتْنَةٌ يَعتَرِيها جُنُونُ

113- ديوان: مطايا الوجود. أحمد مفدي. ص: 185.

114- السابق. ص: 129-130.

115- السابق. ص: 10. والفَرْقَدان: نجمان في السماء لا يعرُبان ولكنهما يطوفان بالجدي، وقيل: هما كوكبان قريبان من القُطْب، وقيل: هما كوكبان في بنات نَعَش الصغرى. يقال: لَأَكْبِتَنَّكَ الفَرْقَدَيْنِ؛ حكاه اللحياني عن الكسائي، أي طولُ طلوعهما. (لسان العرب: فرقد).

116- السابق. ص: 13.

وهكذا تتوالى الحروف في شعر أحمد مفدي الصوفي زَنَابِقٌ وَبِنَادِقٍ، وَزَهْرًا وَجَمْرًا، وَنُورًا وَنَارًا، تتعاورها سياقاتُ الكلام، وتتقاذفها مناويل التأويل، وتتداولها المواقف وتتبادلها المُخاطبات، وتسلّكها الأحوال المقامات... والشاعر ينسجها بسدى البراعة في أبجدية الوجود، ويُطرزها بخيوط القوافي في عقْدِ الجلال خِرْفَةً صوفيةً يَلجُ بها دائرة الولاية وحضرة الشَّطْح.

يُنشِدُ في مقامٍ<sup>(117)</sup>:

مَنْ أَكُونُ...؟!  
 ثم يَخْلُو في وُجُومٍ لِيُرِيهِمْ ما يَكُونُ  
 مِنْ فَراديسِ البهاءِ في قناديلِ سَنَكا  
 بحروف الكاف ليلًا!  
 ما انْتَبَيْتِ كَيْ يَعْبرُ الأَنْهَارَ عَشْقًا وشُدُوهًا...!  
 زادُهُ نونٌ...!  
 يكشف الإِسْرَاءُ نَهْجًا لِعُلَاكَ  
 يرسمُ الوشمَ مَزادًا وَعَبورًا  
 من مَدَارِيحِ هَوَاهُ ليرَاكَ...!

## المبحث الثالث

### خصائص فنية وأسلوبية



## المعجم:

عني الشاعر أحمد مفدي بشعره الصوفي نُشداناً للحقيقة، وتوسلاً إلى أسباب العروج في مقامات الشفوف العرفاني. وقد قاده إلى ذلك حرصه الشديد على ضبط المعجم، والإيقاع، والصورة، والتركيب؛ وإجمالاً نقول: الأسلوب.

وإن ضبط الأسلوب في بناء الشاعر أحمد مفدي لقصائده العرفانية، أو غيرها، يتمظهر في ما يُجريه الشاعر على ألفاظه من التَّخَيُّر والانتقاء، والتنقيح والتثقيف، فيتَّخَلُّ من المعجم ما يُوَدِّي المعنى في أدقِّ صورة، وما يغدِّي الإيقاع في أرقِّ تنغيمه، وما يتلطفُّ بالصورة الفنية إلى أقصى درجات الانزياح.

وباللقاء نظرة خاطفة على واحدة من قصائد أحمد مفدي العرفانية، يجد السائل ما يغنيه من سمات المعجم وخصوصياته الفنية؛ إذ تواجهه طواسين الحروف والكلمات، وأسماء الأعلام من أهل الولاية، واصطلاحات السالكين، وألفاظ الحضرة والشطح والمقامات والشهود... وكأننا به يتهيأ لطقس العروج وأحوال الحلول. ولنا مثلاً، في ديوان «هودج العشاق» ما يفى بالمراد، وبخاصة في القصائد الآتية: شمس العاشقين، الناسكة في الأعتاب، سدرة العُشاق... بل لنا مثلاً في جميع قصائد ديوان «مقامات العاشقين»، أو غيرها من القصائد والدواوين.

كما نُنبِّه إلى سمة أسلوبية طريفة ودقيقة؛ تتجلى في سَعَةِ المعجم الصوفي لدى الشاعر أحمد مفدي في أبجدية الحروف، بما في ذلك الطلاسم، والطواسين، والأبراج، والأفلاك؛ والنجوم... بل ويعلم الجُفْر! وغير ذلك من دقائق علوم أقطاب الصوفية من أهل الولاية وأصحاب الكرامات.

ولنكتفي في هذا المقام باستدراج أمثلة عن واحدة مما ذكرنا، ومَنْ استزاد فله في الدواوين بُعَيْتُهُ ومُراده.

فمثلاً، الجُفْر! ما الجُفْر؟ وما سياقات استعماله معجمياً في نصوص أحمد مفدي الصوفية؟

الجُفْرُ جِلْدُ جَدِيٍّ أَوْ ثَوْرٍ صَغِيرٍ مَدْبُوعٍ كَالْجِرَابِ، كُتِبَ عَلَيْهِ تَنْجِيمٌ لِلتَّبْصُرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِيَّاتِ، وَيُنْسَبُ إِلَى الشَّيْعَةِ وَيَنْتَهِي فِي اعْتِقَادِهِمْ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَحِطُّونَهُ بِالسَّرِيَّةِ الثَّامَةِ. وَقَدْ وَقَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَدِيثٌ كَثِيرٌ وَلَعَطُّ وَاسِعٌ، فَصَلَّهُ الْأَسْتَاذُ أَكْرَمَ بَرَكَاتِ الْعَامِلِيِّ فِي كِتَابِهِ: «حَقِيقَةُ الْجُفْرِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ»<sup>(1)</sup>، فَلْيُنظَرْ هُنَا لَكِنْ مَا يَعْنِينَا هُنَا هُوَ مَا دَرَجَ عَلَيْهِ الصُّوفِيُّونَ فِي الِاسْتِعْمَالِ الْمَعْجَمِيِّ لِمِصْطَلَحِ الْجُفْرِ فِي عِلَاقَتِهِ بِعِلْمِ الْحُرُوفِ وَالْأَرْقَامِ أَوْ الْجُمَّلِ، مَا دَامَ عِلْمُ الْجُفْرِ هُوَ عِلْمُ الْحُرُوفِ الَّذِي تُعْرَفُ بِهِ حَوَادِثُ انْقِرَاضِ الْعَالَمِ، مَعَ حِفْظِ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْغَلْوِ وَمَا يَكْتَنِفُهُ مِنَ التَّشْكِيكِ.

1- حقيقة الجفر عند الشيعة، أكرم بركات العاملي. تقديم العلامة المحقق جعفر المرتضى. دار الصفوة، بيروت-لبنان. ط1: 1416هـ/1995م.

ولقد استدعى الشاعر أحمد مفدي هذا المصطلح من معجم الصوفيين فوظفه في بناء الرؤى وكشف ما تخفى من الخبايا، نستشف ذلك في قوله<sup>(2)</sup>:

إِيَّ أَنْظُرُ فِي أَسْحَارِ اللَّيْلِ  
إِلَى نَبِضِ جُدَادَاتِ الْإِنْبَاءِ عَنِ الرَّسْلِ...!  
وَتَصَفَّحْتُ حُرُوفَ الْجَفْرِ خَفَاءً  
بِمَغَارَاتِ حُرُوفِ الْكَافِ  
وَنُوْنُهُ بَرٌّ مَوْحِشَةٌ بِسَدِيمٍ...!  
تَسْكُنُهَا الْأَسْرَارُ / الْأَبْرَارُ / الْأَهْوَاءُ...!  
وَقَرَأْتُ طَلَّاسَمَ أَقْوَالٍ...!  
نَقَشَتْهَا الْأَنْوَاءُ عَلَى الصَّخْرِ وَلَمْ يَبْقَ سِوَى آثَارِ الْمَثَلَاتِ...!  
وَتَبَعْتُ الْحِسْبَةَ فِي أَظْلَافِ النُّوقِ  
لأَحْدِسَ كَيْفَ يَهْيِجُ شَيْوْحُ قِبَائِلِنَا...!  
لَمَا اهْتَبَلُوا فَرِحًا  
بِالنَّعْرَاتِ...!

نحن هنا أمام مشهد التنبؤ والاسترهاص، أو استشراف الآتي وما يضمه من أحداث! إذا لا مندوحة من الجفر وقراءة الطلاسم وتتبع الحسبة المرقشة في أظلاف النوق، ولا مناص من إقامة قُداس التبصر في الألواح وخذس طالع المستقبل، وأي مستقبل ذلك الذي يكون فيه التشتت الطائفي والقبلي مدعاة للفرح والاحتفال، والهيجان والاهتبال! فالصورة هنا ساخرة من الوضع العربي المُفكك، وتهكمية مما آل إليه حال خير أمة أخرجت للناس! ومن حق الشاعر أن يدق ناقوس الخطر!

ويستند الشاعر مفدي إلى علم الجفر في موضع استبصاري آخر، فينشد<sup>(3)</sup>:

فِي الْكَوْنِ مِظْلَةٌ مَنْ لَا ظِلَّ لَهُ...!  
فَالزَّمْ مَمْلَكَةَ الْحَرْفِ وَكُنْ  
لِلرَّفِضِ قَصِيدًا وَسَقَايَةَ مَنْ  
نَادَاكَ فَإِنْ لَمْ تُدْرِكْ مَنْ (هُوَ)...!  
بِالْجَفْرِ سَتَعْرِفُهُ...!

2- قطوف الوجع (رسائل الأموات إلى الأحياء). 2/54-55.

3- مملكة الحروف. ص: 35.

وفي أكثر من موضع، ينبري مصطلح «الجفر» بحمولته الصوفية والعرفانية لتأدية المعاني وكشف الحُجُب، واستعلام الآتي من عاديّات الزمن ومكْر تعاقبِ أوجاع التاريخ<sup>(4)</sup>.

كما نسجّل استدعاء الشاعر أحمد مفدي أعلام القوم من الصوفيين وأهل الكرامات والوَلَاية والحال، في المشرق والمغرب وبلاد فارس، من أمثال: رابعة العدوية، وأبي يزيد البسطامي، والإمام الجُنيد، والحسين بن منصور الحلاج، وأبي بكر الشبلي، وعبد القادر الجيلاني، وابن طفيل، وعبد السلام بن مشيش، وابن الفارض، ومحي الدين بن عربي، وأبي الحسن الشاذلي، ومولانا جلال الدين الرومي، وعبد الرحمن المجذوب، وغيرهم...

### اللغة:

أما اللغة في شعر أحمد مفدي فصوفية صرْفة، تُزَوجُ بين لغة العرب القدامى في الدقّة والتّباهة والرّصانة والفصاحة... وبين لغة الإشارة الكامنة في ثنّيا الحروف وخفايا الكلمات، وهي مُحمّلة بالرموز والإيحاءات، والتنبؤات والاستشرافات، والعمق والاستبطان... مما لا يبوّج بأسراره إلا داخل سياقات الحال، ولا تفتح مغاليق رموزه إلا إنْ أخضعناها إلى مناويل التأويل؛ «لأنّ الرمز يحقق بالضرورة استبطاناً أثناء التلقي، يعادل دعوة التصوّف إلى استكناه الباطن وإغفال الظاهر. [ومن ثمة] فإنّ الثلاثية المتمثلة في أناقة اللغة، والعمق، والرمزية، دفعت الدارسين إلى أن يحكموا على الأدب الصوفي، وبالأخصّ الشعر، بأنه أدبٌ تَمَيَّرَ على غيره»<sup>(5)</sup>.

### الإيقاع:

ثم قُلِ القَوْلَ نفسهُ عن اهتمام الشاعر مفدي بالإيقاع؛ فالموسيقى الشعرية ركيزة أساس في بناء القصيدة الصوفية لدى الشاعر أحمد مفدي، إنه ينقلّ بالإيقاعات المُمَوَّسَّقة أشعاره العرفانية إلى حَصْرَةٍ تشطّح في قوافيها الذات، وتتطهّر داخلها الرّوح، ويخضّل القلب في ثنّياها بأنداء المحبّة.

فأشعار أحمد مفدي لا تلتفت، من حيثُ الوزن، إلا لبحور الخليل، وأكثرها المُتدارك والمتقارب والخفيف، والرمل، والسريع، والبسيط؛ ثلاثة منها بسيطة وثلاثة مركبة، وبحران خماسيان وأربعة بحور سباعية. فالشاعر يزواج في الاستعمال بين البسيط والمركب، وبين الخماسي والسباعي، وأحيانا يمزج بين البحور نَحَوَ ما ذكرناه في بحثنا عن شعرية الشفوف الصوفي في قصيدة الفطماء، في مبحثٍ آت.

4- للاستزادة يراجع: مطايا الوجود: ص: 93 و: 184. ومملكة الحروف: 88. وصهيل العشق: 103.

5- الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر. الدكتور محمد بنعمارة. شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب. ط1: 1422هـ/ 2001م. ص: 140.

وشعر أحمد مفدي الصوفي جله من شعر التفعيلة، ولكن القصيدة العمودية يبقى لها حضورها الثابت، وبين الفينة والأخرى يمتطي الشاعر صهوتها لتُبرق به في مدارج العشق ومقامات العاشقين.

ثم إن شاعرنا شديد الالتفات إلى كل ما يَغْدِي الإيقاع ويرفع درجاته التنغيمية، من حروف الروي، ومن تكرار صوتي منشؤه تردد إيقاع الحروف، أو الكلمات، أو الحركات، أو التناوين، أو المدود... وهو ما يُغني التَّغْم، ويُثري دندنه القصيدة وهسيس الحروف.

إن الموسيقى فن روحي وجداني، وإن القصيدة الشعرية الصوفية إحساس راقٍ وتعبير عميق عن الذات والوجود؛ ولذلك فإن الموسيقى بالنسبة إليها توأم المعنى وصور الإشارة، لاشتراكهما في الوازع والدافع، واندماجهما في الذوق والنشوة والسمو والفرح... «لأن التصوف وثيق الصلة بالسمع، ولأن السماع وثيق الصلة بالإنشاد الشعري، ثم لأن التصوف يحتاج إلى ما يحرك الأرواح، ويلمس شغاف القلوب الظامئة، والسبيل إلى ذلك هو الشعر»<sup>(6)</sup>.

فإذا ما أنشدنا هذا المقطع الشعري العرفاني القصير<sup>(7)</sup>:

**وَا وَجَعَ التَّارِيخُ وَمَكَرَ تَعَاقِبِهِ...!**

**لَمَا انبَلَجَتْ أَبْوَابُ دَوَائِرِهِ...!**

**قَالَتْ فَاتَتْهُ حِينَ التَّسْبِيحِ / وَقَدْ لَامَسَهَا مَسُّ الْجَانِّ مِنَ الْوَجَعِ:**

**مَا أَرَوْعَ أَنْ تَهْدَى أَعَالِي السُّدْفَةِ فِي وَادِي النَّمْلِ صَبَاحًا...!**

**أَنْ تَتَكَسَّرَ الْآنَ أَبَارِيقُ السُّكَّرَةِ فِي قَارِعَةِ الْأَهْوَاءِ جَرَّاحًا...!**

فسنجده من المتدارك، يعترض (فاعلن) منه قبض فتصير (فاعل)، أو قطع فتصبح (فعلُن)؛ كما يتجلى الروي قائماً بدوره الإيقاعي الرشيق، والذي اثبتق من صوتية الهاء والحاء تابعا. ثم موسيقى التكرار الناجمة عن ترداد حروف بعينها، من قبيل: التاء (12 مرة) النون (11)، واللام والواو (10 مرات لكل حرف)، والراء (9)، والميم (7)، والسين والعين (6 مرات لكل حرف) والهاء (5). وهذا التزديد مبعثه ما يجريه الشاعر على المعجم من ضروب التخير والانتقاء. كما حضرت المدود بالألف (22 مرة) والياء (8 مرات) لتؤدي وظيفتها الرتبة التي تحرر عبرها أنفاس الكلمات وأرواح منشدها وسامعها على حد سواء.

6- المرجع السابق. ص: 108.

7- قطوف الوجد (شطحاء الإفتاء)، أحمد مفدي. مطبعة وراقة بلال، فاس. ط: 2016م. 98- /1.

ويقف التوازي الصوتي شاهداً، أيضاً، على البناء الإيقاعي للقصيدة الصوفية، وهو كثير في شعر أحمد مفدي الصوفي، وله مقاصدٌ موسيقية وأخرى دلالية تشرح له النفس وتستسيغها الأدواق. ونسجل حضوره في هذا المقطع الذي استدعيناه للتمثيل على جمالية البناء الإيقاعي، متجلباً في قوله:

أَنْ تَهْدَّ أَعَالِي السُّدُقَةِ فِي وَادِي النَّمْلِ صَبَاحاً...!  
 ↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓  
 أَنْ تَتَكَسَّرَ أَبَارِيْقُ السُّكْرَةِ فِي قَارِعَةِ الْأَهْوَاءِ جَرَاً...!

فتركيباً تتماشى الصيغ الصرفية والإعرابية بشكل مُنَوَّازٍ ودقيق، أحدث جمالية دلالية وإيقاعية وتركيبية لافتة.

### الصور الفنية:

أما عن جماليات الصور الفنية فَحَدَّثْ ولا حرج! فيكاد يكون شعر أحمد مفدي كلُّه صوراً بلاغية وازياداتٍ عرفانيةً، وأكثرها استعاراتٌ ومجازات؛ إذ هما الأنسب للشعر الصوفي القائم على التلميح والإشارة. وأما شواهدُه فربما لا يُجْمَلُها بابٌ ولا يتحمَّلها كتاب؛ لأن من يطالع شعره سيجد نفسه مُجِرّاً في أتون المجازات ومرافق الاستعارات، لا يبرح واحدةً حتى ينساب في أخرى.. والشاعر مفدي نفسه شهيدٌ بذلك في قوله<sup>(8)</sup>:

بِالإِشَارَةِ  
 فَلُغَاتِي فِي مَجَازَاتِ الإِعَارَةِ  
 شُعْلَةٌ فِي عِبَارَاتٍ تَتَوَالَدُ.....!

وفي قوله<sup>(9)</sup>:

أَتَكَلَّمُ بِالْعَيْنِ (...)  
 أَسْبَحُ بِالرَّمْزِ وَرَاءَ كَثِيبِ اللُّغَةِ الْمَنهُوسَةِ.....

8- شجرة الابتهالات. ص: 27 - 28.

9- تنظر قصيدة: تَجَلِّبَاتُ ابْنِ طُقَيْلٍ فِي عَيْتِي الْعَالِمِ غَزَالَةً. مثبتة في آخر مبحث من هذا الكتاب.

ومن أمثلة انزياحاته المتفردة، قوله<sup>(10)</sup>:

وَتَصَفَّحْتُ حُرُوفَ الْجَفْرِ خَفَاءً  
بِمِغَارَاتِ حُرُوفِ الْكَافِ  
وَنُوْنُهُ بَثْرٌ مَوْحِشَةٌ بِسَدِيمٍ....!  
تَسْكُنُهَا الْأَسْرَارُ / الْأَبْرَارُ / الْأَهْوَاءُ....!

وفي قوله، وقد وُزِّي<sup>(11)</sup>:

يَا أَحْفَادَ مُرِيدِي / زَاوِيَتِي /  
قَدْ يَسْرِقُ نَحَّاسُ حَرْفِ (الهاء) ....!  
مَا فِي أَسْوَاقِ الرُّؤْيَا  
إِنْ صَاقَتْ بِالرَّمْزِ عِبَارَتُهُ....!  
مَنْ يَنْتَصِفُ....؟!  
لَمْ يَبْقَ سِوَى : ( كَافٍ نُونٍ هَاءٍ )  
فِي مِحْبَرَتِي ( تَعْتَكِفُ )  
حَذَرَ الْبَيْعِ / فَقَالَ الْحَرْفُ :  
خُذُوا زَادَ الصَّرْفِ /  
تَقِيَّةَ مَا تَخْشَى ( طَاقِيَتِي....! )  
فَالْحَرْفُ الْغَامِضُ رَوْضَهُ مَنْ عَرَفُوا  
الْحَرْفُ، وَصُهُوَّةُ هَذَا الْبَحْرِ  
الْمَخْبُوءَةُ فِي الصَّمْتِ سَمَائِلُهُ  
هِيَ لَوَّاحُهُ صَمْتِ  
قَدْ تَشْتَعِلُ / الْأَحْرَفُ نَارًا....!  
فِي خُلْجَانِ نِعَالِ الْعَرَبِ النُّومِ عَارًا....!  
لَكِنَّ الْقَادِمَ مَنْ يُدْرِكُهُ سَيْرِي إِنْ نَارًا....!؟

10- قطوف الوجد: 2/54.

11- مملكة الحروف: 64 - 65.

ففي أشعار أحمد مفدي الصوفية «تمسي الصورةً روحيةً ذوقية لا تدرك بالحواس ولا بالعقل، وإن كانت تتوسل بألفاظ لغوية مألوفة في الكلام البشري. هذه الألفاظ تحيل إلى مدلولات عالم التصوف بأسراره الروحانية ومعارفه الربانية، يتم إدراكها بتأويلها وفق سياقها الصوفي؛ لتتبوأ- بذلك - مكانة جديدة تختلف نسبيًا عما علق بها من تصوّر في نقدنا القديم»<sup>(12)</sup>.

والواقع أن بحث الصورة الفنية في شعر أحمد مفدي يحتاج دراسة خاصة، وقد مثّلنا هنا بما جاد به الحيزّ وأوفى به السياق، درءًا للإطالة ودفعًا للإسهاب... وقد يكون لنا عودٌ للكلام فيه مستقبلاً إن شاء الله ﷻ.



**خاتمة**

الفصل الأول



بعد كل هذا نجزم أن الحروف معجزة غامضة؛ لأن معرفتها-كما يقول ابن عربي- من خصائص الأنبياء والأولياء؛ إذ الحروف أرواح، والعالم كله عبارة عن حروف لها معاني في الكشف والفهم.

ولكن هذا لا يمنع من محاولة مراودتها عن نفسها لتكشف بعض خفاياها بقدر إغراءات مناويل التأويل. ولذلك نبشنا في أعماق خفاياها، لعلنا نظفر من مكنوناتها بشيء.

والمحصلة أننا تبيننا خفايا الحرف الصوفي العرفاني في شعر أحمد مفدي، وتحققنا من أنه لُغَةٌ متكاملة يتواصل بها مع صفوة السالكين؛ بل قد حمل الحرفُ أكثر مما تحمله العبارات من المعاني والإشارات، وأوحى بضعف ما توحى به الألفاظ والجمل.

فالشاعر أحمد مفدي حرص على تفض الحروف مما لصق بها، في الفكر الصوفي المتعاقب، من أسرار السحر والطلاسم، وفعل الأوفاق والجدول، التي تُسخر لاستحضار الجنّ وطقوس الشيطنة؛ حتى إذا ما رقّها يبحور المحبة وأنداء العشق، وطهرها من تلك اللواصق السّرانية والتعاويد الظلمانية، أسبغ عليها رداء الصفو والجلال، وسجّاه يلحاف العرفان والجمال، فأشرق نورانيته، وزكّت روحانيته.

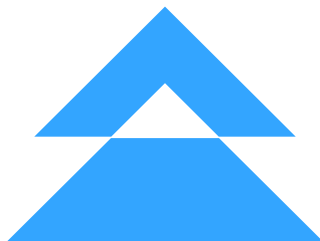
ومن كل ما سلف؛ بثنا لا ننكر، إذًا، أن شاعرية العارفين السالكين «قد تفتقت عن إبداع تراث شعري يميّز عن غيره من أشعار العرب بتعدد الانزياحات، وتشعب الترميزات، وكثافة الصور الفنية وتعانقها، من خلال الاستمداد من محيط الشاعر ومعيشه من جهة، ثم من سعة مخياله وخصوبة رؤاه من جهة أخرى... ما ساعده على إجلاء ما يختلج في دواخله من أسرار ربانية، وأحوال ومقامات وتجليات ومكاشفات ومشاهدات ومجاهدات وكرامات.. فكانت المحصلة تراثًا شعريًا صافيًا، وكثرًا ربانيًا وافيًا، وتراتيل تسبح في مقام الوجود رؤيا وسقيا، وتخرج في مدارج السالكين وأحوال العارفين نحو السُدرة، تُنشد الكشف والمشاهدة، والتملي بلقاء المحبوب في مقامات التجلي»<sup>(1)</sup>.

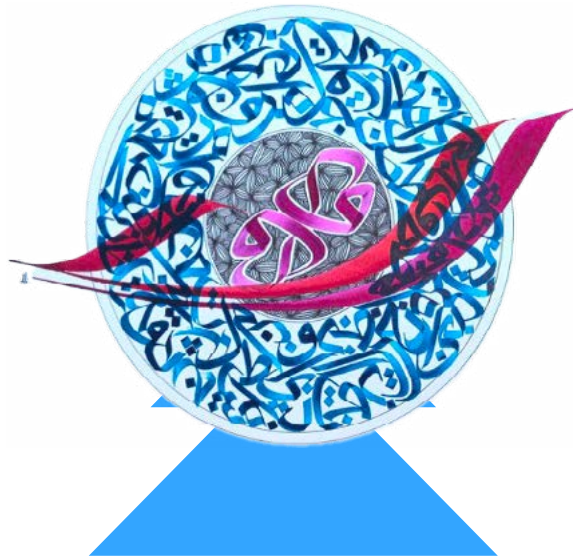
ومدعاةً لهذا جسرنا في ما سلف على توصيف شعر أحمد مفدي ضمن الفيوضات العرفانية الجمالية، والنفحات القدسية الرحمانية، التي تُنشد الحقائق الأحمديّة بإشراقات العشق الرباني، وأوراد الحب الرحماني.



# الفصل الثاني

أحمد مفدي في مقاماته وأحواله وشفوفه الصوفية





## المبحث الأول

المقامات الصوفية بين الرضا والجنون



## تمهيد:

الحديث عن الشعر الصوفي في مُنجز الشاعر المغربي أحمد مفدي ليس بالمسلك البحيي السهل، ولا المَرَكَب الخاضع الدَّلُول؛ بل إنه مُنجزٌ محفوفٌ بالهَيْبَةِ، مَحُوطٌ بِالرَّهْبَةِ، يَقُولُ لِلْمَتَطَّعِينَ: لا مِساس! إذ الشاعر رصينُ اللغة، عميقُ الرُّؤْي، دَقِيقُ الصَّوَر، عَرَفَانِيّ المَعَانِي والأَخِيلَةَ والشَّطْحَات. وَمَنْ ابْتغَى دَخُولَ عوَالِمِ حَضْرَتِهِ، وشَطْحَاتِ جَدَّتِيهِ؛ فَلْيَتَعَمَّمْ وَلْيَتَحَرَّقْ، وَلْيَتَهَيَّزْ وَلْيَتَعَلَّقْ! فدون أن يدري قد يجد نفسه في فَلَكِ الشَّفُوفِ ومَعَارِجِ السَّرْي، وإذا تماهى فقد يقتبس نوراً أو ناراً، وقد يُلقَى مُتَعَةً وَسُرُوراً، وقد يستَعْلِمُ حَبِّباً أو يَرَى أَسْرَاراً، وقد يُجَنُّ وَيَهْتَبِل!

الشاعر أحمد مفدي لا يحقُّل في شعره بالكلمات؛ بل يروح الكلمات! ولا يلتفت إلى ظاهر الألفاظ؛ بل يستغورُ باطنها ويستبئِرُ عُمَقَهَا! وهو تَوَسُّعٌ رَحْبٌ أَلْمَعْنَا إِلَيْهِ فِي إِحْدَى دَرِاسَاتِنَا عَنْهُ، وَقَلْنَا: «الشاعر أحمد مفدي يأخذ من اللغة رَوْحَ الكَلِمَاتِ لِيُحَلِّقَ بِهَا فِي مَلَكُوتِ الكون، ولينأى بنفسه عن الظاهر الذي أَلْفَهُ المِثْلَقِي واعْتادَهُ!»<sup>(1)</sup>.

وأما حين نقول: «مُنجز أحمد مفدي» فنحن بإزاء عشرين ديواناً شعرياً! أُولَها بزغ أواخر ستينات القرن الماضي، وآخرها -وليس الأخير- قبل عام مَضَى. ولذلك يتملِّكُ الخائِصَ - الذي يقدِّرُ السَّعَرَ والسَّاعِرَ- في هذا المنجز، إحساسٌ غريبٌ من التَّهَيَّبِ والرَّهْبَةِ، قبل أن يمتطي صهوة المغامرة ويقتحمَ أسوارَ «مملكة الحروف»، الممتعة في «صهوة الجبل»، والظليلية تحت أفياء «شجرة الابتهالات»، والمحروسة بأعين فُرْسَانٍ يَقِطِينَ يَتَزَيَّوْنَ «لباس الشفوف»، وَيَعْتَلُونَ «مطايا الوجود»، وَيَسْبَحُونَ فِي «مرتفعات الصحو» و«مقامات العاشقين»<sup>(2)</sup>.

وفي هذا المبحث سأَتَقَفِي سُلَّمِ مدارج السُّلُوكِ الصُوفِي فِي أشعاره العرفانية، من خلال مقامي الرضا والجنون في فيوضه الربانية.

1- تُنظَرُ دَرِاسَتُنَا: القصيدَة الديوان وشعرية الشفوف الصوفي لدى الشاعر أحمد مفدي، د/ عبد الكريم الرحيوي. ضمن الكتاب الجماعي: الوجودُ عشقاً «دراسات في شعرية الحب والجمال عند الشاعر أحمد مفدي». إعداد: د/ مصطفى شميعة. مطبعة بلال، فاس- المغرب، ط1، 2019م. ص: 139. وهي مُصَمَّنة في مَبْحَثِ آتٍ من مباحث هذا الكتاب.

2- العبارات، في هذه الفقرة، بين علامتي التنصيص هاتين» هي عناوين دواوين شعرية للشاعر أحمد مفدي. وهذا الأسلوب اعتمده في عدة مواطن من هذا الكتاب، وبخاصة في التمهيد والختم.

## أولاً- مقام الرضا والابتهاال:

يقول صاحب «كتاب مشارق أنوار القلوب»: «أما الرضا فإنه من مقامات السالكين، ومعناه غيبه المحب عن الإحساس بالألم مع كمون صورته عنده في الطبع، والصبر تحمّل المشقة في جنب المطلوب مع الشعور بالألم. وكلاهما حجاب عن حقيقة المحبة؛ إذ حقيقة المحبة أن يفرح المحب بجميع ما يصدر عن محبوبه حتى الهجر، لا من جهة أنه بعدد عن المحبوب بل من جهة أنه مرادّه خاصّة»<sup>(3)</sup>.

ومقام الرضا يلزم العاشق المحب، ليقوّي طاقة اصطباره على المحن وتحمّل الألم؛ إلا أنه لا يدرك عذوبته إلا من ذاق حلاوة المحبة. يقول ابن الدبّاغ: «لا شك أن الرضا مقامٌ جليلٌ من أجل مقامات السالكين، ومنزّلٌ رفيعٌ من منازل المحبين، ومن لم يصل إليه فما ذاق من لذة المحبة شيئاً»<sup>(4)</sup>. وقال الثّقري: «ما الودّ؟ قلت: وصف من أوصاف الحب. قال ما الحب؟ قلت: وصف من أوصاف الرضا. قال ما الرضا؟ قلت وصف من أوصاف الاصطفاء»<sup>(5)</sup>.

هنا في هذه المنارة يعتكف الشاعر العارف أحمد مفدي راضيًا، ويتنسك في محرابه عارفاً دارياً. يقول في عتبة إهداء ديوان «شجرة الابتهاالات»: «الرّضا صومعةُ العاشقين، من لزمها ذاق، ومن أخطأ الطريق ابتلعه المجهول دون أن يدري..! فالزمر مقام من أحببت!»<sup>(6)</sup>. وأنشد<sup>(7)</sup>:

كُنْتُ أَهْوَى عِطْرَ الشَّذَى فِي خُطَاكِ \* وَأَسَاقِي كَأَسِ الْمُنَى بِرِضَاكِ  
حِينَ قُلْتِ: هَذَا الْفَتَى مَا تَكَلَّمُ \* هَلْ خَشِيتِ أَنْ يَنْتَنِي عَنْ رُؤَاكِ!؟

الرضا ينقل العارف من الصحو إلى السكر، حتّى إذا تبيّد خمرة الشفوف سرى إلى «وادي الرؤى» شاهداً ومسهوداً يتبختر في مرايا الصفاء، فهناك تتكشف الأسرار، وتتجلّى الفيوض والمقامات. يقول مفدي<sup>(8)</sup>:

3- كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب. ابن الدبّاغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري). تحقيق: هـ ريتز. دار صادر، بيروت. ص: 74.

4- كتاب مشارق أنوار القلوب. ص: 76.

5- المواقف والمخاطبات. الثّقري. ص: 182.

6- ديوان: شجرة الابتهاالات. ص: 4.

7- ديوان: شجرة الابتهاالات. ص: 7.

8- ديوان: شجرة الابتهاالات، 13.

عَشْتُ أَرْضِي لَا أَشْتَكِي مِنْ دَوَائِي..!  
 إِنْ تَعَرَّتْ فِي كَأْسِهَا حَمْرٌ دَائِي..!  
 فِي وُجُومِي، لَا أَتَّبَعِي غَيْرَ سِرِّهِ  
 رَافِلًا فِي وَادِي الرُّؤْيِ بِصَفَائِي..!

فالحُبُّ أنارَ طريقَ السالكِ، وَجَلَّ سبيله إلى عينِ الحقيقةِ وسرِ الوجودِ، فارتضى مقامَ الرضا ولزمه، مُتساوفاً ونَهَجَ ابنَ الفارِضِ حين قال في تائيته الكُبرى:

فَكُلُّ الَّذِي تَرْضَاهُ وَالْمَوْتُ دَوْنَهُ \* بِهِ أَنَا رَاضٍ، وَالصَّبَابَةُ أَرْضَتِي<sup>(9)</sup>

وهذا الحال يُخْرِجُ عن التَّنْظَرِ بعينِ الصبابةِ والهوى، وما يحومُ حولهما من الجمالِ المطلقِ في كل شيءٍ، يُعِينُ على جَلَاءِ الطريقِ المُفضي إلى مقامِ الرضا عُرُوجًا. وفي هذا يُنْشِدُ الشاعرُ أحمدَ مفدي، حينًا<sup>(9)</sup>:

الهُوَى جَلَّى طَرِيقِي، لِعُرُوجِ فَسَبَقْنَا الطَّيِّبَ عَشَقًا  
 وَالرِّضَا زَادَ حُدُوسِي فَالتَقِينَا  
 بِالْحَيَارَى، وَالْمَقَامَاتُ جِنَانٌ، فَارْتَضَيْتِنَا.  
 وَيُنْشِدُ، حينًا آخر<sup>(10)</sup>:

وَاقِمًا فِي حَمَائِلِ العِشْقِ قَرْدًا  
 غَارِقًا فِي بَحْرِ الجَوَى لِأَرَاهُ..!  
 فِي انْشِرَاحِ سَبَبِ المَدَى مِنْ سَنَاهُ..!  
 شَارِبًا مِنْ رَاوِقِ حُبِّي رِضَاهُ..!

إن الشاعر/ العارف/ أحمد مفدي يدركُ حقيقةَ الرضا في كلِّ شَطْحَاتِهِ الصوفيةِ وَجَذْبَاتِهِ العرفانيةِ؛ بل إنه يربط أسبابَ العشقِ بِأعلاقِ الرضا رِبطًا مَتِينًا، مَوْفِقًا باختيارِ المحبوبِ، أَيًّا كان ذلك الاختيارِ، مُتساوفاً في ذلك وقول الإمامِ الجنيد: «الرضا: تَرْكُ الاختيارِ»<sup>(11)</sup>، وقولِ ذي النون:

9- شرح التائية الكبرى لابن الفارض. التلمساني. تحقيق: جوزي سكارتولين ومصطفى عبد السميع سلامة. تصدير: أيمن فؤاد سيد. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة. 1442هـ/2022م. ص: 200.

9' ديوان: شجرة الابتهاالات. ص: 12.

10- ديوان: شجرة الابتهاالات، 13- 14.

11- التعرّف لمذهب أهل التصوف. الكلاباذي. تحقيق: د/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. القاهرة: 1380هـ-

1960م. ص: 102.

«الرضا: سرور القلب بِمَرِّ الْقَضَاءِ»<sup>(12)</sup>. ولذلك نجده يقول<sup>(13)</sup>:

لا أعشُقُ رُؤْيَا أَحَدٍ  
إِلا ما كانَ بأعلاقِ رضاهُ نَراهُ

الرضا بابُ العشقِ وجلَاءُ الرُؤْيَا، به تنكشف الحُجُب وتُنازُ القلوب. قال العطار: «إِذَا سَكَنَ العَشْقُ قَلْبًا، سارع القلبُ بالسيطرة على روح ذلك الشخص، والرجل الذي تسيطر عليه هذه الآلام، يخرجُ مضطربًا بين الحُجُب»<sup>(14)</sup> ✽

وإن «الرضا يقتضي المحبة»<sup>(15)</sup>؛ قال تعالى: «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ»<sup>(16)</sup>، والمُحِبُّ- كما قال الإمامُ ابنُ عطاءِ الله السَّكَنْدَرِيّ- «مَنْ لا سُلْطَانَ له على قلبه مِنْ غيرِ محبوبه، ولا مشيئَةً له غيرَ مشيئته»<sup>(17)</sup>. وبالعشق يتجلَّى السر الخفيّ، نحو ما يترنم به الشاعر أحمد مفدي حين يقول<sup>(18)</sup>:

وَعَشْقِي إِسَارَاتُ الحَبِيبِ تَبْتُلًا  
حُجُوبُ الهَوَى بَيْنَ السُّدُومِ تَتَوَرَّتْ  
إِلَى اللهِ، كَشَفُ العَاشِقِينَ الحَوَافِيَا  
بِعَشْقِ الحَبِيبِ والحَفَا قَدْ بَدَا لِيَا  
أَوْ نَحْوَ ما يتهجّد به في شطحاته لَمَّا يُشِيدُ<sup>(19)</sup>:

لا أَعْشُقُ عِنْدَ البَابِ بأورادِ الشوقِ سِوَاهُ..!  
ولهُ مَنْ فِي الكونِ يُسَبِّحُهُ..! وأنا وحدي أَتَهَجِّي  
ما فِي القلبِ مِنَ الأَنْوارِ وَقَدْ كُنْتُ بعشْقِ الرحمنِ رَضِيًّا.

12- نفسه.

13- ديوان: قطوف الوجع، 2/124.

14- منطلق الطير. العطار (فريد الدين النيسابوري). ترجمة وتقديم الدكتور بديع محمد جمعة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط4: 2006م. ص: 252.

15- التصوف الإسلامي (منهجًا وسلوكًا). الدكتور عبد الرحمن عميرة. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. مطبعة نيفرتيتي: 1982م. ص: 90.

16- سورة البقرة، الآية: 164.

17- عن: التصوف الإسلامي. ص: 94.

18- ديوان: حدوس ابن عربي. ص: 22.

19- ديوان: مقامات العاشقين. ص: 69 - 70.

وإنَّ جُلَّ شطحات الشاعر أحمد مفدي عَشَقٌ ومحبّة؛ «والناظر إلى مكاشفاته الصوفية، وما أكثرها وأبدعها!! ستحاصره آياتُ العشق أوردًا وتراتيل، يتبَّتلُ بها الشاعر تبَّتلًا في مكابذاته، ويرتِّلها ترتيلًا في شطحائه!!»<sup>(20)</sup>.

وفي تلك الأحوال تتطهَّر الذات من دَرَنِ المادَّة وهَبَاءِ الهَيولِ المُبْتِئ، لتتعشَّق وتعلِّق، سُكْرًا واهتبالًا، تَهَيُّوًّا لدخول حضرة الوجود ومقام الرضا. يقول شاعرنا أحمد مفدي<sup>(21)</sup>:

السُّكَّارِي شَرِبُوا سُورَ الكُؤُوسِ  
وَحُبَّابِ المَاءِ تَجَلَّى فِي رِضَاكَ

### ثانيًا- مقامُ الجنون والاهتبال:

«سُئِلَ المَدِينِيُّ: ما العِشْقُ؟ قال: الجُنونُ والذُّلُّ!»<sup>(22)</sup>

في هذا الأفق العرفاني ترسو سفائنُ ديوان «شجرة الابتهالات» للشاعر أحمد مفدي، هنا في هذا المرفأ تُفرغ ما تملأَتْ به من رُؤْيٍ وما اختزنت من أسرار، هنا يُنشدُّ الشاعر مقام العشق ويتنهل في مقام الجنون.

يقول في عتبة الإهداء التي تصدَّر أولى صفحات الديوان: «إِبْتِهَلْ ثم ابْتِهَلْ!! تحت شجرة الحُبِّ التي غَرَسَتْهَا فسيلاً حَتَّى تَهْتَيْلْ!! فإذا اهْتَبَلْت قاربَتْ مقام الجنون!!»<sup>(23)</sup>.

مقامُ الجنون حالٌ من السُّكْرِ يَتَغَشَّى السالك، فيصير لا يرى إلا المحبوب في كلِّ تجلياته، ولا شيء سواه، فيُسمي شاهداً بعين التحقيق، وليس مُشاهداً بعين التحديق. فَمِمَّا يُحكي عن خير النساج أنه قال: كنا في المسجد، فجاءنا الشبلي وهو سكران، فَنَظَرْنَا ولم يُكَلِّمْنَا، فأنهَجَمَ على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس، فهَمَّت أن تغطي رأسها، فقال لها الجنيد: لا عليك ليس هو هناك<sup>(24)</sup>.

20- الوطنُ مقاماً صوفياً في الشعر المغربي المعاصر (قراءة في منجز الشاعر أحمد مفدي). د/عبد الكريم الرجوي. دراسة ضمن الكتاب الجماعي: تقاسيم الشعر المغربي المعاصر «أعمال المنتدى الربيعي الأول للشعر بفاس تكريماً للشاعر أحمد مفدي»، تنسيق الدكاترة: محمد المتقن وحسن محب والحسين زروق. مطبعة بلال، فاس- المغرب. الطبعة الأولى: 2021م. ص: 131. وهو مَبْحَثٌ آتٍ من مباحث هذا الكتاب.

21- ديوان: شجرة الابتهالات. ص: 85.

22- مصارع العشاق. السراج. دار صادر، بيروت. (د/ط/د/ت): 1/12.

23- ديوان: ديوان شجرة الابتهالات. أحمد مفدي. ص: 3.

24- حليلة الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الفكر ببيروت. 1416هـ/ 1996م. ج/ص: 10/367.

ويخاطبُ الشبلي جماعةً بقوله: قوموا أصحاباً جئتم إلى مجنون، أي فائدة لكم في؟ أَدخلتُ المارستان كذا وكذا مرةً، وأسقيتُ من الدواء كذا وكذا دواءً، فلم أزد إلا جنوناً<sup>(25)</sup>.

وَحَيَّيْ أَنْ بَعْضَ الشُّطَّارِ صُرِبَ مائة سوطٍ فما تَأَلَّمَ بذلك، ثم صُرِبَ بعد ذلك سوطاً واحداً فتَأَلَّمَ وصاح، فسُئِلَ عن ذلك فقال: العَيْنُ التي كُنْتُ أَصْرَبُ من أَجْلِها كانت معي نَاطِرَةً إِلَيَّ فلم أَجد للضربِ أَلَمًا، فلما غابت عَنِّي رجعتُ إلى جِسمي فوجدتُ الألم<sup>(26)</sup>.

لكن؛ ما الجنون الذي يحلُّ بالشاعر؟ وما الالتهبال الذي يختلجُ روحه في ذروة الجذب وقمة الحصرة؟

يجيب الشاعر الدكتور أحمد مفدي عن هذه الحال في عتبة الإهداء أيضاً، فيقول: «الشاعر ليس بمجنون، ولكنه بين الالتهبال والالتهبال..! يشناق/ يحنُّ/ ثم يأخذه الحب مَأخِذاً وَعَرًّا..! قد يتحسر الحبيب إذا أعرض عنه المحبوب/ يتألم/ يحنُّ إليه/ يبكيه إن نَأَى (البعد عن الحبيب فَنَاءً) يُناديه إذا صَحَا/ يحلمُّ به إذا عَفَا/ تسكنه حاله الحيرة والشُدوه/ فإذا به لا يَرى في الوجود (إلا هو) ولا يَسْمَعُ في براري الصدى سِواه»<sup>(27)</sup>.

إن مفتاح مقام الجنون هو الحيرة والشُدوه، والاضطراب والقلق! الحيرة تقود إلى اليقين المطلق، وإلى الحقيقة اللدنية، وإلى التماهي مع المحبوب درجة الانصهار المطلق الذي وصفه الحلاج بقوله:

أَنَا مَنْ أَهْوَى، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا \* نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا<sup>(27)</sup>

قال بعضُ العارفين: أولُ المعرفة الحيرة وأخرُها الحيرة. وقال الجنيد: انتهى عقلُ العُقلاء إلى الحيرة. وقال ذو النون: غاية العارفين التَّحِيرُ. وأنشد بعضهم:

قَدْ تَحَيَّرْتُ فِيكَ خُذْ يَدِي \* يَا دَلِيلًا لِمَنْ تَحَيَّرَ فِيهِ<sup>(27)</sup>

وفي خِصَمِّ الحيرة والشُدوه، يعرج الشاعر أحمد مفدي إلى مقام الجنون والالتهبال، ممتطياً جناح البُراق يَتَشَدُّ أنوار اليقين وسُدُومَ أَفلاكِ التماهي والحلول. يقول<sup>(28)</sup>:

25- السابق: 10/368.

26- كتاب مشارق أنوار القلوب، 75.

27- ديوان: شجرة الابتهاالات، 4-5.

27- ديوان الحلاج، علق عليه: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: 1419هـ/1998م. ص: 158.

27- يُنظَر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المملكة العربية السعودية. 1425هـ/2004م. ج/ص: 11/383.

28- ديوان: شجرة الابتهاالات. ص: 45 - 46.

زار حيرانُ حَيْمِي يَسْتَقِينِي  
 كان يرومي صلصاله في معيني  
 ظالماً أوحى للجوى فرماني  
 بين أفلاك الغيمة في سدومي  
 كالعذارى يشرئب ماء دنائي  
 (مأنبلج من نوره في المرآيا)  
 عَيْرُ ذاتِ نُذِي الجوى بَيْنَ طِينِي  
 فَسَمَتْ تَنْتَقِي جَنَاحِ البُرَاقِ  
 والنَّوَارِسُ رَفَرَقَتْ مِنْ شُجُونِي  
 مَنْ دَحَاها فِي خِرْقَةٍ...؟! فَبَكَها...!!  
 إِنَّ عَرًّا فِي خِطْمِهِ قَدْ رَمَاهَا...!

أي حُضْرَةَ هاته يشطّح الشاعرُ في دوائرها، ويحوم- حيران- في فَلَكِها، يَنْشُدُ الطَّهارةَ والسَّقَايةَ،  
 نَشْوانَ، في مقامَ المحبوب؟! ينسلخُ عن طينِ ذاته ليعرّجَ من الوجودِ إلى عين الوجود.. إنه  
 يغتسلُ، أولاً، في معينِ السُّمُوِّ مَوْفَقًا أَنْ بياضَ القلبِ سر الرُّؤيا. يقول<sup>(29)</sup>:

فَمَنْ لِي بِقَلْبٍ شَدِيدِ البِياضِ؟! \* تُرَاهُ بِسَبْغِ لَدِيدِ، يَصُونُ  
 عَهْودَ الوِصالِ وَطِيبَ اللِّقَاءِ..! \* وَسِرَّ السَّقَايةِ كَافٌ وَنُونُ  
 كَأَنَّي أَرْوِي النُّفوسَ وَأَهْـمِدِي \* الحِيارى إلى مُجْتَبَى ما أرومُ..!

الحيرة تقتادُ إلى اليقين، وفيضُ اليقين يعرج بك إلى عين الحقيقة، وهنالك حُقُّ لك أن تُجنَّ!  
 فالجنون مقام لا يدركه إلا العارفون، ولا يستلذه إلا السالكون؛ إذ من حياضه تَعْمُرُ الأفتدة  
 بالمحبّة والعشق، وتَدْفَأُ النفسُ بأنداء الحنان.

يقول أحمد مفدي<sup>(30)</sup>:

أَنَا فِطْرَتِي جَبَّتِي..!  
 إِنَّ سَكَرْتُ بِخَمْرِ جُنُونِي /  
 أَحْطُ حُرُوفَ الهوى / فِي فُؤادِي

29- ديوان: مطايا الوجود. ص: 13 - 14.

30- ديوان: حدوس ابن عربي. ص: 99.

ويقول<sup>(31)</sup>:

تَسْأَلِنِي يَاوَرِقَهُ ! عَن دَفْقِ حَبِينِي!..  
وَأَنَا الشَّاعِرُ أَنْشُدُ مَاخُوذًا بِالْجُرْعَةِ مِنْ بَحْرِ يَقِينِي...!  
ويَقِينِي فِيضُ جَنُونِي...!

فالجنون والاهتيال في مقام الفناء في ذات المحبوب إشراقه من نور، وَقَسَّ مِنْ نَارٍ، وَرُؤْيَا وَسُقْيَا، وَوَصَلَ و«مَصَلَ»!.. إِذَا، يَكْفِي أَنْ نَبْتَهَلَ إِلَى أَنْ نَهْتَبَلَ! وبالاhtبال ننفذ إلى قلب الحبيب:

وإِنَّ اهْتِبَالِي بِنُورِ الْحَبِيبِ..  
إِلَى قَلْبِ لَيْلَى حُدُوسًا وَصَلَ!..<sup>(32)</sup>

مقام الجنون روصه المحبين، وَزُهَّهُ المشتاقين.. مقام الجنون ترياقي العليل، وبلسم الذليل.. لكن في هذا الزمن «الداعر»، يُجَاهِدُ العارفُ/ المجنونُ/ لتنفذ أوراذه حُبًّا وَصَفَاءً وَعِشْقًا. يقول مفدي<sup>(33)</sup>:

وَلَمْ يَبْقَ لَوْنٌ لِحَبِّ الْحَمَائِمِ ضَبْحًا..  
فَكَيْفَ يَدُوقُ الْمُرِيدُ الصَّفَاءَ..؟!  
وَأَشْعَارُ وَرْدِ الْمَجَانِينِ صَارَتْ تُكَابِرُ / عِشْقًا وَقَدْحًا..!

ويقول أيضًا<sup>(34)</sup>:

لَمْ أَعْرِفْ أَنَّ الْحَبَّ إِذَا لَمْ يَسْكُنْ صَاحِبَهُ كَانَ جَنُونًا  
لَمْ أَعْرِفْ..!

ويقول كذلك<sup>(35)</sup>:

أَمَّا إِنْ طَافَ بِكَ الْمَجْنُونُ فَمَنْ يَمْتَعُهُ..؟  
مِنْ أَنْ يَغْرُوَ فَجْرًا مَا فِيكَ مِنَ الْإِحْرَامِ..؟!  
خَارَجَ هَذَا الزَّمَنُ الْمَعْتَوَهُ، وَفَوْقَ الْحَدِيسِ الْمَفْتُونِ

31- ديوان: قطوف الوجع (رسائل الأموات إلى الأحياء)، 2/22.

32- ديوان: أنا... مَنْ أكون...؟!، ص: 14.

33- ديوان: لباس الشفوف، 96 - 97.

34- الوقوف في مرتفعات الصحو (ط2)، ص: 160.

35- الوقوف في مرتفعات الصحو (ط2)، ص: 252.

قد جئتُك أَرْقُلُ قافيةً

رثتها في الحضرة من تاه ورددها المجنون...!

وسواءً أَسَطَحَ الشاعر أحمد مفدي في مقام الرضا، أم جَذَبَ في مقام الجنون؛ فإنه يَشْرَعُ طُفُوسَ الحضرة وأحوال العُروج بالابتهال والتوسل، والتضرع والتبذل. ويستدعي لهذه الغاية مُعْجَمَ التذلل والافتقار، والتودد والاستصغار، رجاء الرضا، وطلَبَ السُّقيا.. ومن ذلك قوله، وقد أَبَدَعَ:

ذَا عُبَيْدٌ قَدْ دَعَاكَ..!

هَلْ تَرَانِي..! جِئْتُ أَسْقِي مَنْ لَهُ السُّقْيَا مَاتٍ..!

مِنْ فُيُوضِ الْوَجْدِ يَشْرَبُ

حَامِلًا مِنْ نَشْوَةِ الْحُبِّ صَفَاءَهُ/ إِنْ تَقَرَّبَ

حَاتِرًا: بَيْنَ جُنُونٍ/ وَشُجُونٍ/ وَاهْتِبَالٍ/ فِي عَرَاءٍ..!

كَيْفَ لِي لَوْ هَدَيْتَنِي الْهَجْرُ وَمَا لِي

فِي سُرُوجِ الْعِشْقِ لَجْمٍ لِجِيَادِي

وَأَنَا أَسْمُو وَحِيدًا فِي طَرِيقِي

وَاهْتِرَاقِي قَطْرَةً مِنْ نَدَاكَ

وَدُعَائِي: طَرُقُ بَابٍ، لِلَّذِي لَيْسَ لَهُ، فِي هَوَاهُ، مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..!

يَا حَبِيبِي/ يَا طَبِيبِي/ أَنْتَ شَافِي مَنْ دَعَاكَ

جَلَّ مَنْ يَسْقِي ظِمَاءً/ مِنْ حِيَاضٍ/ لَا يَعِيهَا

مِنْ بَوَاقِيهِ سِوَاكَ<sup>(36)</sup>

[...]. يَا حَبِيبِي/ فَتَلَطَّفَ بِعُبَيْدٍ قَدْ دَعَاكَ

وَبَدَا لَا يَنْحَنِي/ فِي هَوَاهُ لِسِوَاكَ

عِشْقُهُ قَدْ يَرْكَبُ الصَّحْوَةَ/ ذُكْرًا، وَدُعَاءً، وَحَيْنِيًّا، وَاشْتِيَاقًا لِرِضَاكَ<sup>(37)</sup>

36- ديوان: شجرة الابتهالات، ص: 70 - 71.

37- ديوان: شجرة الابتهالات، ص: 110 - 111.

وفي ختام هذا المبحث نوّكّد:

أنَّ المنفتح على مُنجز الشاعر/ العارف/ أحمد مفدي سيكتشف أنه بإزاء طريقة من الطُّرُق الصوفية التي تدور في قطب المحبة وفَلِكِ الاشتياق؛ ومقامات هذه الطريقة أودعها الشاعر في ديوانه: «مقامات العاشقين»<sup>(38)</sup>، «وتتشكل من أحد عشر مقاماً صوفياً، تدور في فلك المحبة والعشق.. أدناها: مقامُ السؤَالِ عشقاً!! إذ السؤَالُ مفتاحُ الدخول إلى أحوال الحضرة. وأعلىها: مقامُ الفناء في ذاتِ المحبوب!! إذ الكشف والمشاهدة. وبين مقام السؤَالِ ومقام الفناء في ذات المحبوب نجد مقامَ الحب، ومقامَ العشق، ومقامَ الحبيبِ رؤياً، ومقامَ الشُدوه، ومقامَ المحبة، ومقامَ الاشتياق، ومقامَ الحلول، ومقامَ الدُّهولِ ثم مقامَ الصفاء»<sup>(39)</sup>.

لكننا نجد في ديوان: «شجرة الابتهالات» يشطّح في حضرة مقامِ الرضا ومقامِ الجنون؛ فلعلّه يَخْصُ المريدين بما سلف من مقامات؛ لكنّه يجعل هذين المقامينِ حَضراً على القُطْبِ والغوثِ، رُبّما لأنّ نورانيتهما قد تحترقُ فيها بقية الدّوات ما لم تُجاهد وتُكابد، وتزوّد وتزوّد، وتسجد وتقترب..

وأما من يَبْتَغِ إدراكها فليَتَرَسِّمِ المسلِّكَيْن اللّذَيْن ارتضاهما له «الشيخُ مُفدي» في وصيّته: المسلِّك الأول في وصيته التي أودعها في قوله: «فابتهلِ إدن، ثم ابتهل، ثم ابتهل..! فلم يبق إلا أن تبتهلِ إليه [سواه] لعلّه يَرْضَى..! وَمَنْ أخطأ الطريق ابتلعه المجهول دون أن يدري»<sup>(40)</sup>. والمسلِّك الثاني في وصيته التي صمّمها قوله: «الرّمّ مقامٌ من أحببت..!»<sup>(41)</sup>. هنا، وحسب، قد نُفِضِي بك الطريق إلى الطريقة، وستتولّى أوراها نَقْلُكَ، بِتَدْرُجٍ، إلى مقامات العاشقين ومَدَارِجِ المُحِبِّين، «فالرّمّ مقامٌ من أحببت!..»

ولقد صدق الشاعر الذي أنشد:

لَمَّا أَرَاهُ يَزُولُ عَقْلِي \* عَنِّي وَيَعْتَادُنِي جُنُونِي  
وَأَشْتَهِي أَنْ أَغْوَصَ فِيهِ \* مِنْ مُشْطِ رِجْلِي إِلَى جَبِينِي

38- ديوان: مقامات العاشقين.

39- راجع مبحث: الوطنُ مقاماً صوفياً.

40- ديوان: شجرة الابتهالات. عتبة الإهداء، ص: 3 - 4 [بتصرف طفيف].

41- ديوان: شجرة الابتهالات. عتبة الإهداء، ص: 4.

## المبحث الثاني

### الوطنُ مقاماً صوفياً



## توطئة:

درستُ شعرَ أحمدَ مفدي ورويتهُ، واستنشدتهُ من صاحبه وأنشدتهُ في المحافل، واستشهدتُ به في المواقف المختلفة، وفي أحوال النحو والبلاغة والإيقاع... شاهداً ومشهوداً ومثلاً... وإني لأجزمُ جزماً ثابتاً قاطعاً مؤكداً، أن الله نزه لسان هذا الشاعر عن الهجاء، وصرفه إلى القول الميسور، مصداقاً لقوله تعالى: «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا»<sup>(1)</sup>. فجاء شعرُه إشراقاً صوفيةً، وشفوفاً عرفانيةً، وتراتيل تسبح في الملكوتِ حُباً وعشقا وهياماً، وقيلاً سلاماً سلاماً!!

هو ذا الشاعر/ الإنسان/ العارفُ أحمدُ مفدي.. الشاعر الذي غنى للسلام والمحبة والوطن منذ أنشد الشعرَ يافعاً وإلى اليوم، يدندن على قيثارة القوافي معزوفاتٍ يرتقي بها إسراءً في مدارج السالكين.. لا يتغني من ذاته ومن كينونته إلا أن يُنبت واقفاً عند باب الرجاء والصفاء يرتجي الكشف والمشاهدة... وفي ذلك يُنشدُ في آخر صفحة يقفل بها ديوانَ «لباس الشفوف»<sup>(2)</sup>:

**دعيني ولا تسأليني**

**أنا من أكون...؟!!**

**أنا لن أكون سوى ما أنا كنته**

**واقفاً أرتجي**

**عند باب الرجاء الصفاء...!**

فهذا مبحثٌ شريفٌ أقرأ فيه شعرَ أحمدَ مفدي في موضوع الوطن؛ لكنني سأنظر إليه، هذه المرة، من زاوية صوفية صرفة<sup>(3)</sup>.

1- سورة الإسراء، الآية: 28.

2- ديوان: لباس الشفوف، ص: 134.

3- سبق أن قاربنا تيمة الوطن في شعر أحمد مفدي من منظورٍ قيمِيٍّ جماليٍّ، وعرضنا مجالات استعماله وتجلياته المختلفة في كتابنا: (دلائل الإبداع) فليُنظر هنالك للتوسّع.

## الوطن في مقاماته الصوفية

تبعثُ مبحث الوطن في شعر أحمد مفدي فألفيُّه متصلاً بمعجم التصوف، في استعمالات دلالية عِدَّة، تارة عاشقاً وتارة أخرى معشوقاً، وحيناً مُجَبَّاً وحيناً آخر حبيباً ومحبوياً، وطوراً يقيناً، وطوراً آخر ذاتاً يذوبُ فيها ويفنى في وجودها، يحلُّ فيها ويتمهى في كينوتها..

فلما بدا لي هذا الموضوعُ مَحْوطاً بِسَمَاتِ «الظاهرة»، مسيَّجاً بعناصر «التميز اللافت»، أنزلته منزلةً «الملحح الأسلوبي» الذي يستدعي النظر ويستوجب القراءة. وفي هذا السياق يأتي هذا المبحث.

كما أنني، منهجياً، سأكتفي بالنظر في مقامين مركزيين اثنين، هما: مقامِ المحبة، ومقامِ العشق، على أن القياس بهما على غيرهما من المقامات لا يُفْسِدُ «للأحكام» قضية.

### أولاً/ مقام المحبة

يتفق فكر العارفين الصوفيين على أن حقيقة المحبة أن تهبَ كُلُّكَ لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء<sup>(4)</sup>.

وتتشكل أوراُدُ «الطريقة المُفدوية/ أو الأحمديّة» من أحدَ عَشَرَ مقاماً صوفياً، تدور في فلك المحبة والعشق.. أدناها: مقامُ السؤَالِ عشقاً!! إذ السؤَالُ مفتاحُ الدخول إلى أحوالِ الحضرة. وأعلىها: مقامُ الفناء في ذاتِ المحبوبِ!! إذ الكشف والمشاهدة. وبين مقامِ السؤَالِ ومقامِ الفناء في ذاتِ المحبوبِ نجد مقامَ الحب، ومقامَ العشق، ومقامَ «الحبيبِ رؤياً»، ومقامَ الشُّدُوهِ، ومقامَ المحبة، ومقامَ الاشتياق، ومقامَ الحلول، ومقامَ الذُّهولِ ثم مقامَ الصفاء<sup>(5)</sup>. وصيّرَ الشاعرُ «مقامَ المحبة» وأيسطَ عَقْدِ تلك المقاماتِ: خمساً قبلها، وخمساً بعدها؛ إذ المحبّة - من منظوره العرفاني الوجودي - مركزُ الكينونة وقطبُ رحى الوجود. ولنا في عتبات إهداء أعماله الشعرية جِلاءً الأمرِ وبيانه..!

فلقد أحصيتُ في عتبات الإهداء بستة دواوين للشاعر أحمد مفدي، صادرة بين: 2015 و2019، تردّدُ الجذع «حَبِّ» في مختلفِ وجوهه الصرفية: فعلاً، بجميع إسناداته الزمنية، واسماً، بمختلف اشتقاقاته وأحواله العددية «الإفراد والتثنية والجمع» (حُبِّ، حبيب، محبّة، مُجَبِّ/ ون، أحبّة... إلخ)؛ فوجدتها قد ترددت حوالي (60 مرة) تقريباً، بمعدل 10 مرات في

4- معجم مصطلحات الصوفية. ص: 237.

5- ديوان: مقامات العاشقين.

كل عتبة إهداء. وهو ما يجعلها، أولاً، ظاهرةً معجميةً لافتة في إهداءات شعر أحمد مفدي، وثانياً، يمكن اعتبار شعره في فترة ما بعد 2015 أوراداً محبّة وسُبُحاتِ عشق واشتياق، يتنسّكُ بها في حُلُوته الصوفية، ويتزهدُ ببركاتِها في وِحدته الوجودية<sup>(6)</sup>.

وهذا العددُ (أَحَدَ عَشَرَ) يُشعِرُنَا وكأننا بإزاء قصة يوسف وإخوته: فبعد أن اضطرمت نيران الكراهية في قلوب أشقائه، فصنعوا به/ بل بأنفسهم / ما صنعوا؛ كانت المحبة التي قدحها الله في قلب يوسف طهارةً لهم وشفاءً!! صقلت قلوبهم من الشرور والأحقاد، وجذبتهُم إلى حضرة المحبة والعشق، حيث الاشتياقُ والذهولُ والشفاء من الأدواء... (فالحبُّ- يقول أحمد مفدي- خلاصٌ من طينِ الذات، وعروجٌ إلى اصطفاءِ نورِ اليقين... إننا بالحب نحياء، وفيه نفى...!).

من هذا المنطلقِ كانَ الوَطَنُ لدى الشاعر مفدي حبيبا ومحبوبا، وعاشقا ومعشوقاً..  
يقول / كاشفا حبه الصوفي لِأمكنة من وطنه لها في قلبه منزلة<sup>(7)</sup>:

إِذَا لَمْ أَجِبْ جِبَالَ زَلَاغٍ...!  
كُوُوساً تَفِيضُ بِنُورٍ  
مِنَ اللّهِ صَفُوءاً...!  
وَتَسْمُو جِرَاساً  
بِشُرْبِ لَدَاعٍ...!  
(وَوَدَكَةٌ) شَوْقِي بِهَا كَانَ وَجْدِي...!  
وَأَطْلَسَ عِشْقِي...!  
فَمَاذَا تَبَقَّى...?!  
تَقُولِينَ مَرْحَى...?!  
لِتَحْيَا بَقْلِي مَعَانِي الوَطَنِ...?!

6- راجع إهداءات الدواوين الأتية: سيده الإشراق (2015م) // 12 مرة - شطحات ديك الجن (2015م) // 09 مرات- الفطماء (2018م) // 11 مرة - هودج العشاق (2018م) // 11 مرة - لباس الشفوف (2018) // تردد مرتين- مقامات العاشقين (2019م) // 14 مرة.

وبناءً عليه؛ فلئن تناثر ألقابُ أسبغها المتتبعون على الشاعر أحمد مفدي، في الأونة الأخيرة، من قبيل: شاعر القرن، وشاعر فاس... ونحوها، وهي ألقاب أتحفظ بشأنها لأنها لا تستند إلى أسس علمية دقيقة، وإنما لانطباعات ذاتية أو انتماءات مكانية؛ فإنني أرى لقب: «قُطِبَ المحبين» أدقُّ وأدَل، أسوةً بسلطان العاشقين ابن الفارض، والمحبة تستمسك هنا بأمشاجها الإنسانية والكونية الواسعة.

7- ديوان: أنا ... من أكون ...؟!، ص: 89- 90. وودكة: جبل عالٍ في إقليم تاونات بالمغرب.. كثيف الشجر.

والذي انقح الحب في قلبه إزاء وطنه، سيحب كل الأوطان لا محالة، وينثر المحبة زهراً ورياحين وأنواراً في كل مكان؛ لأن الذي يحب يحبهُ الوجود بأكمله.

يتغنى الشاعر مفدي بهذه الرؤيا قائلاً<sup>(8)</sup>:

هذا وطني...!

علمني...!

أن أغرس في كل دروب العالم زهرة...!

علمني...!

أن أحمل كل العبيء

وأطلق فوق بوابات مدائنه

ريماً وحمامه...!

والزهرة والريم والحمامة كنايةات عن المحبة والجمال والسلام..

إن شواهد إيلاء الوطن مقام المحبة في المنجز الشعري لأحمد مفدي كثيرة لا أكاد أحصيها.. وحسي ما اتصل منها بديوان «الوقوف في مرتفعات الصحو» كثافة حد الانشطار.. ولكي نفتح المجال أمام الحديث عن مقام العشق سنكتفي بهذا الشاهد، وفيه يرتل الشاعر أوراد المحبة في حضرة الوطن. ولعلي بهذه القصيدة قد تخصبت في غربة أو هكذا إخال.. إذ الشاعر لم يوقع مكان وزمان انبعائها على مألوف عاداته. يقول<sup>(9)</sup>:

يا وطني...!

يأتيني منك الهاتف أشواطاً...!

ما أحل أن

يقترح الحب

بهمس العربة

بيتي الصوفي المغموم عواطف...!

(...)

يا وطني...!

أسمع صوتاً

8- ديوان: الوقوف في مرتفعات الصحو. ط2. ص: 134.

9- ديوان: الوقوف في مرتفعات الصحو. ط2: ص: 156 وما بعدها، بتصرف الحذف.

يَخْفُتُ فِي كُلِّ مَسَامٍ الْكَوْنِ شَجِيئًا.  
 لَمْ أَعْرِفُ  
 أَنَّ الْحُبَّ إِذَا لَمْ يَسْكُنْ  
 صَاحِبَهُ كَانَ جُنُونًا...!  
 (...)

يا وطني...!  
 قلبي في صحرائك /  
 أو في كلِّ تلالِ الأطلسِ  
 خارطتي / سَفَنِي / ....!  
 لَمَّا تَحْضُرُنِي / نوبُهُ مَنْ يَعْسُقُ ...!  
 أَتَلُو فِي «الْحَضْرَةِ»  
 أشعارَ الغرباءِ ...!

وليس يخفى أن للوطن طُهرًا يرتقي بثراه إلى مدارج التقديس، ويسمو بنداه إلى مسرى الشفوف.. وبخاصة حينما تنساب دماء التضحية في سبيله رُفيا وطهارة، وتتمزق أشلاء الخُلص من بنيه زكاهً وشهادةً. وصورهً ذلك يعكسها هذا النشيد الصوفي الذي يتنسك به الشاعر في حضرة الوطن قائلًا<sup>(10)</sup>:

أَخْلَعُ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْأَوْتَانِ  
 وَخُذْ يَمِينِكَ مِنْسَاءً...!  
 مَزَّقْ نَعْلَكَ بِالْوَادِي...  
 قُدِّسَتْ النَّعْلُ وَأَشْلَاءُ الْوَطَنِ...!

## ثانياً مقام العشق

العشق في اللغة: الالتصاق والتمسك بالشيء.. والعشق الصوفي اتصال وتمسك والتصاق وتعلُّقُ كلي بذات المحبوب/ المعشوق؛ مع إعراب العاشق عن وجود نقص ما عنده هو، يجب علاجه من أجل الوصول إليه (أي إلى الكمال). وفي معجم مصطلحات الصوفية: العشق أقصى درجات المحبة، وسائرُ مقاماتها كلها مندرجةٌ فيه. ومعناه اتحاد ذات المحبوب بذات المحب اتحاداً يوجب غفلة المحب شغلاً بشهود محبوبه في ذاته بذاته<sup>(11)</sup>.

والناظر إلى مكاشفات الشاعر أحمد مفدي الصوفية، وما أكثرها وأبدعها!! ستحاصره آياتُ العشق أوراداً وتراتيلٌ يتبَّتل بها الشاعر تبثُّلاً في مكابداته، ويرثلها ترتيلاً في شطحائه!!

ثم إن المتفحص لن يشقَّ عليه رصدُ معشوقِ الشاعر/ إن لم نقل: معشوقاته المقدَّسة؛ ومنها الوطن؛ إذ أحلَّه بقلبه ووجدانه مُقاماً طيباً ومقاماً علياً..

وكيف لا وهذا الوطنُ مَشفى الشاعر من «وجع التاريخ ومكر تعاقبه»!! وكيف لا ورماله صعيده الطيب الذي يطهره من وساخة «هذا الكون الداعر»!!

تَعَنَّ معي - إن شئت - بقوله<sup>(12)</sup>:

يا سيدي..

وَإِذَا سَكِرْتُ رُوحِي بِالسُّورِ، وَحَارَ الْقَلْبُ مَنَالَهُ..

وَتَلَفَّعْتُ بِهَاءِ الصَّحْرَاءِ، فَضُمِّينِي..!

أَوْ ضُمِّي بَعْضَ يَبَابِ الدَّاتِ إِلَى حِضْنِكَ عَامِينَ..

وداويني مِنْ حُبِّ الْوَطَنِ!.. (....)

وَإِذَا أَحْبَبْتُ فِي الْحَبِّ هَوَىً وَتَبِي..!

يكفيني يا سيدي مِنْ هَذَا الْكَوْنِ الدَّاعِرِ أَنْ أَهْوَى اللَّهَ،

وَأَنْ أُغْسِلَ وَجْهِي بِرِمَالِ الْوَطَنِ..!

فأبى تَرَى هذا الذي يحيله العشقُ رُقياً وطهارةً غيرُ رمالِ الوطن! تالكُمُ الرمالِ الزكية الندية التي يتعلَّقُ الشاعر بِدَرَاتِهَا ويتمسكُ بِحَبِيبَاتِهَا عِشْقاً صوفياً يصقل الذات من كل الأدران، ويستشفى بها من كل الأدواء:

11- مرجع سابق، ص 184.

12- ديوان: سيدة الإشراق، ص: 20 وما بعدها، بتصرف الحذف.

هَلْ أَقْرَأُ آيَاتِ الرَّهْلِ وَأَعَشَّاشِ الطَّيْرِ مُعَلَّقَةً  
 أَمْ أَقْرَأُ رَسْمَ الطَّعْنِ...؟  
 أُعِيدُكَ أَنْ نُزُقِي  
 بِالطَّبِيبِ  
 فَزُقِيَاكَ رِمَالِ الْوَطَنِ...! (13)

العشق يجعل المعشوق/ الوطنَ معبوداً، تُقدَّمُ في حضرته طقوسُ العبادة. يشدو الشاعر<sup>(14)</sup>:

يا وطني...!  
 لو كَانَ المعبودُ سوى المعبود...!  
 أَوْ كَانَ المَعشوقُ تَوَسَّحَ  
 غَيْرَ دُبَالَاتِ المَعشوق...!  
 كُنْتُ أَنَا «وَنَيْي»  
 فِي حُبِّ عَوَاطِفِكَ «الأسى»  
 يَا وَطَنِي...!

العشقُ يجعلُ المَعشوقَ/ الوطنَ مصدرَ إِيحَاءٍ، ومنبَعِ إِيحَاءٍ.. من نافذته ترى عينَ اليقين، وتتسَوَّفُ إِرْهَاصَاتِ الآتِي ونبوءَاتِ الشعر.. أَتَلُّوْا مَعِي إِنْ شِئْتُمْ هَذَا الْوِرْدَ الْمَقْدَوِيَّ<sup>(15)</sup>:

كَيْفَ أَكُونُ : أَنَا أَنْتِ ، وَأَنْتِ أَنَا.....!  
 فَحُلُولِ الذَّاتِ بِذَاتِ الْعِشْقِ مَقَامٌ يَلْتَهُبُ .....  
 فَأَنَا مُنْذُ زَمَانٍ هَوَاكَ  
 أَبْحَثُ فِي أَدْعَالِ الذَّاتِ الْمُنْقَوَعَةِ فِي الْوَلَةِ  
 عَن نَفْسِ شِعْرِي...!  
 قَدْ أَوْعَلَ فِي نَزَقِ الْعِشْقِ  
 وَعَانَقَ أَشْجَانَ الْوَطَنِ...!

13- ديوان: صهيل العشق، ص: 85.

14- ديوان: الوقوف في مرتفعات الصحو، ط2، ص: 164.

15- ديوان: يا ربح الجنة هي. ص: 164- 165، بتصرف الحذف.

العِشْقُ يجعلُ المعشوقَ / الوَطَنَ / أَعَزَّ ما يُطَلَبُ، وأسمى ما يُنال!! ويجعلُ الدماءَ والأموالَ  
والأنفُسَ مُسْتَرَحَّصَةً في سبيله، غيرَ ذاتِ جدوى لغايةِ إدراكه. ولكم في هذا الوِردِ القومي  
العُرُويِّ إِسْوَةٌ بَيِّنَةٌ، وشاهدٌ حقيق. يرثُلُ الشاعرُ/ الشيخُ مفدي (الشيخُ هنا بالمعنى الصوفي)  
في مقامِ الوطنِ هذه الأحوالَ قاتلاً<sup>(16)</sup>:

قَالُوا:

تَعَبَتْ أَكْتافُ الرَّاجِلِ

فَلَيْمِشِ حَفِيفًا....

وَلْيُلِقِ عَنِ الْكَيْفِ الْأَوْطَانَ: الرَّمْلُ / الْجَبَلُ /

الوَادِي / السَّاحِلِ

(...)

قَالُوا:

فَلْتُحْمَدِ أَنْفَاسَ الثُّورَةِ

بِالْأَسْلَاقِ / الْأَسْوَارِ...!

فَلْيَضْمُتْ، أَوْ يُقْدَفْ خَارِجَ هَذَا الْوَطَنِ....

الْمَعْشُوقِ.....

قَالُوا: ... وَنَسُوا أَنِّي

حَتَّى إِنْ صَمَتَ الْكُلُّ

فَأَنَا يَكْبُرُ فِي شَفَتِي صَحْبَ الثُّورَةِ

أَتَزَيًّا / أَتَعَدِّي / أَتَحَرِّكُ بِالْكَلِمِ اللَّاهِبِ

لَنْ أَضْمُتْ....!

أَنْفَاسَ فَائِضَةً تَلْفِظِي خَارِجَ دَائِرَةِ النَّحْتِ

لَنْ أَضْمُتْ....!

صَحْبَ الثُّورَةِ بِي....!

يَعْلُو...

يَعْلُو...

يَعْلُو...

يَنْفَجِرُ الصَّحْبُ الْعَاضِبُ فِي قِمَمِ الثُّلِّ

فَلْتَشْهَدْ قَسَمَاتُ الرَّمْلِ  
 وَأَخَايِدُ الْجَبَلِ الشَّامِخِ فِي وَطَنِي  
 وَالْحَاضِرُ وَالْآتِي...!  
 أَوْ مَا يَحْفِرُ فِي الْأَرْجُلِ مِنْ رَسَنِ  
 أَنِّي إِنْ لَمْ أَعْبُرْ...!  
 بِالْأَجْنَادِ إِلَى الْوَصْلِ اللَّحْظَةِ  
 فَعَدَا يَعْبُرُ طِينُ الْوَطَنِ...!  
 فِي ذَاكِرَةِ الْخَافِقِ لَمَّا يَنْسَلُ سَرَارَهُ...!  
 وَأَنَا  
 مَا كُنْتُ سِوَى الْعَاشِقِ هَذَا الْوَطَنَاءِ...

### قُلُوبُ الْكَلَامِ:

هكذا، إذًا، نطالع صورة الوطن في وهجه الصوفي وألقه العرفاني، وهكذا نلمس فناء العاشق في ذات المحبوب / المعشوق / الوطنِ حُبًّا واشتياقًا وحُلُولًا... هذا الوطنُ الصوفي الطَّيِّبُ الشامخُ الثابت كالطَّوْدِ في علياءِ الصفو: رِمَالُهُ رُفْيَا، وهوأُوهُ رِيحُ جَنَّة، وصُونُهُ صَهِيلٌ، وَحَتَايَاهُ مَطَايَا وَجُود.. هذا الوطنُ المقدَّسُ المعبود، الذي ينتصبُ رجاله وُقُوفًا في مرتفعاتِ الصحو، وتستظلُّ نساؤه أفياءَ شجرةِ الابتهالاتِ سيداتِ إشراقٍ في لؤلؤ مكنون..

هذا هو الوطن العاشق/ المعشوق الذي يتمسك به الشاعر تمسكًا، ويتنسك في أعتابه تَنَسُّكًا، ينشد في حضرته مشكاةَ التجلي وأنوارَ الحلول.. هذا هو الوطن الذي حَطَّ الشاعرُ في بُنْدِهِ المرفرف<sup>(17)</sup>:

أَبْحَثُ عَنْ وَطَنِي  
 حَتَّى لَوْ يُبْلَعُ أَبْقَرُ عَنْهُ الْأَمْعَاءُ .. !

هذا هو الوطن الذي أدّى لأجله قَسَمَ الوفاء والولاء، مردِّدًا:

**فأنا يا وطني**

**صوفيُّ المَسرى في الملقى ...!**

**أقسمتُ وهذي يدي أن أبقى**

**ما أشرقَتِ الشمسُ، على الملقى**

**مَلِكُ يدبِّكَ وبينَ تلاك**

**لا أعشُقُ في الكونِ سواكُ..!**

**يا وطني ...!**<sup>(18)</sup>

وتستمرّ القصيدةُ وِرداً موروداً.. ويمضي الشاعر يحملُ أشياءَ الوَطنِ دونما كَلِّ ولا مللٍ.. لتتوالى سمفونيةُ المحبةِ والعشقِ ترتقي في مدارجِ السالكينِ بَوحاً وسلاماً، بين الشاعر / عاشقاً، والوطنِ / معشوقاً...

## المبحث الثالث

القصيدة الديوان وشعرية الشفوف الصوفي



## أولاً/ «القصيدة الديوان» أو «الديوان القصيدة»: الماهية والدواعي

مع ديواني «شطحات ديك الجن» و«قطوف الوجد»، وهما من إصدارات عام: 2016م؛ دشّن الشاعر أحمد مفدي عالما شعريا خاصا، ينطلق من المحبة ويدور في فلكها، ويعرج في سماوات العشق والعاشقين شفوفاً وإشراقاً... حتى إذا ما أتمّ مسراه وصار قاب قوسين أو أدنى من التجلي والحلول؛ عاد ممتطيا «هودج العشاق» بقبسٍ من نور فقذفه في قلوب المحبين أوراذاً تُتلى في مقامات العاشقين، وكساهم «لباس الشفوف» بُرْدَةً ولحافاً.

فمع دَيْنِكَ الديوانين السابقين، والأربعة الأخرى التي تَلَتْهُمَا في ما بعد، وهي تبعاً: ديوان «القطمء»- ديوان «أنا.. من أكون...؟!» - ديوان «هودج العشاق»- ثم ديوان «لباس الشفوف»، وكلها من إصدارات 2018م؛ يَتَبَّنَا نُدرُكُ أننا أمام ملحمة شعرية واحدة، أو ديوان شعري واحد، يجمعه نَفْسٌ شعري واحد، وموضوع واحد يدور في أفلاك المحبة، نَحْو ما أسلفنا ذكره، ومَدَارِ العِشْقِ، كما أومأنا إليه ذي قبل؛ حتى إن مفاتيح الإهداء فيها لا تغادر الدعوة إلى الحب والمحبة، والعشق والتعلّق.

- ففي ديوان «شطحات ديك الجن»<sup>(1)</sup> يُطَالِعُنَا الإهداء بهذه الصيغة: «أيها المحبون الخُلص، أحبوا، ففي الحب الخلود».
- وفي ديوان «القطمء»<sup>(2)</sup>: «أحبُّوا لعلَّ المحبين واجدون في المحبة أسراراً ومقامات».
- وفي ديوان «أنا.. من أكون؟»<sup>(3)</sup>: يتساءل الشاعر بعد مهاده عن العشق والعاشق والمعشوق: هل تعشّقون...؟
- وفي «هودج العشاق»<sup>(4)</sup>: «عينُ اليقين سر المحبين... فأحبُّوا يحبكم الحبيب».
- وفي ديوان «لباس الشفوف»<sup>(5)</sup>: «اشتاقتوا أحبتي... فإنّ من يتلبّس الشوق مقاما، تدرّكه حالة العرفان رؤيا».

فهذه الدواوين كلها أنداءٌ محبّةٍ وأنفاسٍ عشق، ولذلك فاستوعبت دواوينَ بِنَفْسٍ واحدٍ، وبناءً فَيَّ فريد جعل منها بأكملها قصيدةً واحدةً في دواوين عدّة. ولذلك وسمنها بالقصيدة الديوان أو الديوان القصيدة، وآثرنا التّظّر في شفوفاها الصوفية في كُتَيْبِهَا، باعتبارها دَفَقَةً عرفانيةً غيرَ مُجَرَّاةٍ، وإشراقاً صوفيةً غيرَ مُنْفَكَّةٍ.

1- ص: 6.

2- ص: 5.

3- ص: 6.

4- ص: 6.

5- ص: 7.

يقول الشاعر أحمد مفدي في استهلالية الإهداء التي صدر بها ديوانه الشعري «أنا..من أكون...؟!»: «هذا الديوان هو القصيدة الثالثة، بعد قصيدة: قطوف الوجد/ في جزأين، وقصيدة: شطحات ديك الجن...! تأتي قصيدة الكينونة العاشقة: أنا..من أكون...؟!» ولباس الشفوف، في جزأين أيضاً»<sup>(6)</sup>.

إذاً؛ نحن بإزاء منحى شعري جديد نصلح عليه: «القصيدة الديوان»، أو «الديوان القصيدة». وهو ضربٌ من الشعر يتسم -أولاً- بالانسجام والتكامل، وثانياً، بالنفس الطويل، والوحدة الموضوعية. وليست تلك الوحدة هنا إلا شفوفاً صوفياً يعرج في صفاء الذات، ويسري في سماوات المحبة وإشراقات التعلّق الصوفي.

إذاً، نحن هنا بصدد القصائد التي تشكل ديواناً، أو الدواوين الذي تشكل قصيدة، أو أمام الديوان الذي يشكّل ديواناً حاضناً لغيره.. وهذا مدعاةً اتخاذنا هذا المبحث للحديث عن: «القصيدة الديوان، أو الديوان القصيدة» لدى الشاعر أحمد مفدي، من زاوية التلقّي الصوفي العرفاني؛ إذ غدا هذا الأسلوب سمّة بارزة في نتاج الرجل، وحقّ أن يُقارَب من هذا الباب.

وسنقصرُ الحديث في هذا المبحث عن ملحمة الشعيرة «القطماء» فحسب؛ والمسعى تبين ملامح الجمال الفني التي جعلت من هاته القصيدة/الديوان - إسوة بشعر أحمد مفدي جملةً- محطّ اهتمام وإعجاب وانبهار... حفّ بكل زوايا التلقّي التي اقتربت من المتن ودنّت من «بعض» أسراره؛ أملاً في بناء تصور شمولي يسع جل عناصر الجمال الفني، التي منحت هذا المتن الإبداعي تميّزاً وفرادة... على أن قياس ما سنبي عليه من مقدمات، وما نتحصّل عليه من مُخرجاتٍ، يصحّ تزييله - بحذر- على هاته السلسلة من أعمال المبدع الشاعر أحمد مفدي.

## ثانيًا/ جماليات العتبات، أو التجلي والخفاء في عنوان القصيدة

أولاً؛ نلفت النظر إلى أن كلمة «الفطماء» غير موجودة إطلاقاً في أشهر قواميس ومعاجم لغة العرب، ومنها لسان ابن منظور، وتاج الزبيدي، وعين الخليل، وقاموس الفيروزبادي، ونحوها... ولذلك نؤكد خصيصة مهمّة من خصائص اللغة في شعر أحمد مفدي وهي خصيصة التوليد. فالرجل متضلع في اللغة العربية، متحكم في لسانها، درجة إغناؤه المعجم بألفاظ إما مبتكرة أو نادرة الاستعمال، من ذلك كلمات نجدتها في شعره من قبيل: الرّاج، مُدَرِّز<sup>(7)</sup>... يحككها ويصقلها ويلحقها بالعربية.

ومن جديده، كلمة: «الفطماء».

**ثانياً؛** هذا الملفوظ الذي اترن على «الفغلاء» يحمل معاني التسامي والشموخ والعلو.. وهو ملفوظ يأخذ معناه من وزنه. والفطماء: التي تقطع نفسها بنفسها دون حاجة إلى غيرها، فهي لا تنفطم. إنها لذاتها تستطيع أن تستغني عن غيرها.

ثالثاً؛ من المعاني التي حملتها «الفطماء» في هذا السياق، أنها المرأة التي تشبه الرجل في كل شيء؛ تقوم مقامه وأكثر.. مثل الرّباء. وما تحمله الصيغة من معاني المبالغة يؤكد ذلك!! ويؤكد دلالة بناء الذات وبناء الرجولة، أكثر من: انفطم بغيره، أو قَطَمَ نفسه، أو قُطِمَ قبل الوقت..

والمحصلة من كل هذا؛ أن الذات البشرية، عندما تستغرق لحظة من اللحظات الذاتية، تصبح في غيٍّ حتى عن اللغة، وتكتفي بالإشارات لتشير إلى أشياء لم يألفها الناس، تحاول أن تستجلي ما في الباطن لتسكبه للآخر من خلال فيوضات وصيغ صوفية.. ولذلك نلفي - ولأول مرة - استعمال تلاوة الحزب في شعر أحمد مفدي؛ لتدل في هذه القصيدة على أن روح الإنسان يجب أن تهض من جديد، وتفهم أنه لن تقوم لها قائمة إلا بتوليد هذه الأوراد التي ليست وِرداً صوفياً بمفهومه المتصل بالزوايا، وإنما وِرداً روحياً ربانياً متصلاً بالله. فالشاعر أحمد مفدي يأخذ من اللغة روح الكلمات ليخلق بها في ملكوت الكون.. وينأى بنفسه عن الظاهر الذي أُلّفه المتلقي، وهنا تحلُّ الإشارة محلَّ العبارة، نحو ما أسلفنا ذكره في باب الحروف.

7- من أمثلة هذين الضربين قول الشاعر (ديوان: موسم الرياح، ص: 32):

أنا لو يضعون الرسن المسنون على قدي

والزاج «المُدَرِّز» في الأعتاب

لا بُدَّ أمضي ملهوقاً للوطر ... يا وطني.

فكلمة «الزاج» شائعة في التداول الدارج بين العامة، نادرة الاستعمال في العربية الفصحى. ذكرها الجاحظ بلفظها هذا في رسائله قائلا: «وكذلك الزاج والمَعْرَة والزربخ والمَرْتَك والكبريت والقار...» (تحقيق عبد السلام هارون. طبعة 1991م، دار الجبل، بيروت، 1/33). وعدَّ المحقق، في الهامش، بعض الأصول التي فيها: الزجاج، تحريفاً.

وكلمة «مُدَرِّز» عامية شائعة، فحككها الشاعر أحمد مفدي وألحقها بالمعجم الفصح.

وحيثما ننفذ إلى روح دلالة ملفوظ: «القطماء»؛ فإنَّ الأمر يُفصي بنا إلى القراءة الباطنية التي نستبهر بها عُمق الإيحاء؛ فتمسي «القطماء» دالَّة على «الذات» ولا شيء سواها!! تلك الذات في صفائها وطهرها ونقاها، أو ما نصلح عليه: «كترسيب الذات». بعد أن تغتسل من أدران السوء، ورُفَّت التَّاريخ، ومسوخات الكون الدَّاعر، لتعرج في عياء السموِّ الروحي، نقيَّة طاهرة، صافية زلالا..

ينشد مفدي في هذا المعنى<sup>(8)</sup>:

لو أَيْ يَاسِيدي  
أَسرَجْتُ حُيُولَ الكَوْنِ لِأَلْحَقِّ بِالْفَطْمَاءِ إِذَا  
تَعَرَّجُ بَيْنَ الأَفلاكِ كَعَيْمَةِ إِحْصَابِ  
ما أَدْرَكْتُ بِهَا / سَرَجًا /  
مِنْ نُورِكَ فِي العَلْيَاءِ إِذَا اتَّبَدَّ الحُورُ يُصَفِّفْنَ  
حَيَاءً كَاسَاتِ الوِلْدَانِ..

### ثالثًا/ جماليات الإيقاع

انتظمت قصيدة «القطماء» على تشكيلة متناسقة من الأوزان لا نكاد نتيين ما يعتربها من اختلاف؛ لما يتغشأها من الانسجام والتمازج الرشيق... يخفي عن السامع الإحساس بتناوبها، والقدرة على التقاط موسيقى هنا وأخرى هناك تختلف عنها!

إن الوزنَ المسيطر على المتن الشعري ككل هو وزنُ المتدارك، أو الخبب.. وكثيرا ما يعترى تفعيلاته خببٌ فيصير خبباً قزما أو مُقزما. لكن بحر الخفيف وبحر المجث سرعان ما يختلسان لحظة شعرية/ شعورية، فيتجليان فجأةً لأداء دورهما الإيقاعي الذي تستدعيه تلك الدفقة، قبل أن يمسك الخبب - من جديد - زمام القصيدة ليقودها مختالة في سراويل التطريب والتنغيم.

في قصيدة «القطماء» تحس أن الشاعر أحمد مفدي يُولد أوزانا جديدة عبر إدماج بعض الأبحر في بعض، وقوة هذا التوليد تظهر - أولاً- في مقدرة الشاعر على التوسُّع في الإيقاع إسوة بذات القدرة التي يملكها في التوسُّع في اللغة. وتظهر - ثانياً- في أنه (يخاتل) أسمع المتلقي مختالة جميلة توقعه في سرك التعلُّق بالقصيدة في شموليتها، فلا يدرك أنه تنقل بين الأوزان والإيقاعات والأنغام... إذ تَعَشَّاهُ ما تَعَشَّاهُ من السُّكْرِ السَّماعِيِّ والاختلاج الرُّوحي، الذي مَسَّوهُ سحرُ البلاغة وسر البراعة، فَعَرَجَ وارْتقى، وسرى في أفاق العرفان وأطباق الوجود.

ويبقى الشاعر أحمد مفدي سيّد المَقُول في توشيح الشعر بوشاح النغم الداخلي؛ كَوْنَه أحرص الشعراء على التخمير والثقيف، والتنقيح والتهديب. فهو يحتفي بالمتلقي ويترّله منزلةً عالمة تحفظ له هيئته، أيّاً كان هذا المتلقي! ويأى إلا أن يشفّ سمعه ووجدانه بشعر عذب الماء، خصيب الرواء.. ولذلك يجنح لإعمال مختلف ضروب التخيّر، بتقليب اللفظ على وجوه المعاني حتى يطمئن المعنى إلى اللفظ، واللفظ إلى المعنى.. وحتى ترى أنك إن حاولت استبدال لفظ بآخر يفضي بك إلى ذات المعنى لن تجد إلى ذلك سبيلاً، وإن حِيل إليك أنك تحصلت على سبيل فلن يكون ذلك إلا على سحرٍ إيقاعٍ كأنّ حادثاً فحَبَا جرسه، أو على لَدَّةٍ تنعيمٍ كأنّ واقِعاً فانطفأ أواره... فتعلم بذلك - بتعبير الجاحظ - أن شعره متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، وأنه أفرغ إ فراغاً واحداً، وسبك سبكا واحداً.. فصار يجري على اللسان كما يجري الدهان!!

ولننظر إلى ما أحدثه حرف السين (يؤاخره الصاد) من السحر الإيقاعي الذي يسري في دواخل النص في هذا المقطع، وكذا الشين والكاف والطاء، بعضها يعزّز بعضاً تنغيماً وتبرّاً؛ لتبيين جُهد الشاعر في النسج، وحذقه في البناء.. وذلك في قوله<sup>(9)</sup>:

لو تدرين - حُدوساً - يا سيديتي...!

ما الإبحار بلا سفن في عيتك

وهذا الكون يتبه بقوديك

ولا من يمسه...!

سبحانه...!

من أرسله نوراً

حين الإسراء بلا عمد...!؟

لو تدرين سدى الطيب يعطيقك إذا

روح كالطيف زواة الشعر عشيّاً...!

لأنخطف الإبصار وقلت: سلاماً...!

فاخصلت في يدك الأسماء

وقلت له:

ما كان الرّحم نسيّاً...!

هَبْ أن الشاعر قال «يقبضه» عوض «يمسكه»، و«فُلكٍ» بدل «سُفن» وقس على ذلك! فهل كان هذا التوقيع - الذي يسري في عروق النص الشعري، والذي منشؤه فونيمية السين- سيحدُّ في غياب سعة بحر اللغة التي يملكها الشاعر، وهي التي قادت إلى التصرف في اللغة وتخلُّ ما يسعفه منها على أداء المعنى مختالاً في التلوين الإيقاعي؟! وقُلِ القولُ نَفْسَهُ وأنتَ تستبدلُ «الطيبَ» بالرَّهْرِ، و«عَطْفَيْكَ» بجَنِّيكَ، وقسْ على ذلك..

### رابعاً/ جماليات الإبداع الدلالي

بصراً؛ تشكل قصيدة الفطماء من مفضليين شعريين، وسَمَ الشاعر أحمد مفدي الأول بِوَسْمِ: «وسادة الماء»، والثاني: «موعد الإسراء»، واختزل هذين المفضليين عشرون مقطوعاً شعرياً: أَحَدَ عَشَرَ رَسَتْ عليها «وسادة الماء»، وتسعةٌ تحَدَّدَ بها «موعد الإسراء». وينتهي كل مقطع من المقاطع الشعرية العشرين بعلامةٍ تُؤشِّرُ على انتهائه وبداية المقطع الموالي؛ وذلك الفاصل يختزل مساحة صوتية لأخذِ نَفْسٍ أو تجديد منحى، أو تغيير وتيرةٍ إنشادية؛ إذ القصيدة كلها دفقة شعورية واحدة ومعمار معنوي واحد لا تنفصم عراه ولا تنفك بُناه، ولنا عن القالب السردى للقصيدة حديث سنختم به هذه الدراسة، ونَجَلِي فيه هذه السمة.

لكننا نستطيع أن نَميز موضوعاتٍ جزئيةً صغرى داخل الموضوع الكلي الجامع، فنجسر على وَسْمِ كلِّ مقطعٍ/ موضوعٍ/ بكلمةٍ أو كلمتين نعتبرها «حاضنة» لمعانٍ كثيفة تصب - في النهاية - في الحقل العام للمتن. وتلك العناوين الحاضنة للمقاطع المشكّلة لمفضلي القصيدة، صوفياً، هي من الألفاظ المُشكّلة لتلك المقاطع، وتَحَيَّرَناها إمَّا لدلالاتها الوازنة، أو ترددها اللافت، أو إشاريتها ذات الإيحاءِ الصوفي القوي. ويمكننا أن نُجَلِّي عناوين تلك المقاطع، تِبَاعاً، في الآتي<sup>(10)</sup>:

### المِفصل الأول: وسادة الماء

(1) سر الرُؤى (2) راووقُ الخمرة (3) حاءُ الحُبِّ (4) معراجُ الله (5) صلاةٌ وسلام (6) محي الدين (7) ولادة (8) النور (9) سِدْرَةُ البَرَزَخِ (10) ليلُ العُشّاق (11) الحلاج.

### المِفصل الثاني: موعد الإسراء

(1) الإسراء (2) بحر الحُبِّ (3) الحُبِّ عبادة (4) حُضن الحبيب (5) رُضاب العذراء (6) الأوراد (7) قُبلة عشق (8) حروف الإنباء (9) هدير الشُّعر.

10- كل الحاضنات اللغوية ورد ذكرها في المقاطع التي تسمُّها؛ ومنها ما ورد في أكثر من مقطع، لكنها اعترشت المقاطع التي تنزل فيها بنقلها الدلالي أكثر، أو التي يشكل ترددها فيها بكثرة سمة لافتة.

نلاحظ أنّ من ضمن الحاضنات اللغوية المُوَمِّا إليها أعلاه، ثلاثة أعلام دَوو شُهرةٍ في سياقات معلومة: محي الدين (ابن عربي)، ولّادة (بنت المستكفي، ومحبوبة ابن زيدون الشاعر الأندلسي) والحلاج. وكل هؤلاء يجمعهم خيط التعلق والحب، والعشق والسُّعر. وهي من دُرى العقد الذي يحيط بالفطماء/الذات الطاهرة، بما في ذلك حاضنة «الشعر» الذي هو بَوَح وتراويل ينشدها الشعراء في محراب الحب والتعلق والعشق.

وزيادة على هذا المعطى المعجمي/ الأسلوبي/ تستوقفنا، من أول وهلة ومع أول إنشاد للقصيد/ الديوان الفطماء، حشود لفظية من معجم التصوف. فبالإضافة إلى علّمي التصوف الشهيرين (محي الدين ابن عربي) و(الحلاج)، تتناثر ملفوظات شتّى متصلة بالتصوف من قبيل: السر- الخمر- التسييح- الوجد- الأنوار- النار- النور- الحب- المحبوب- الذات- الشوق- العشق- العروج- الإسرء- الورد المورود- الحزب- الأشهاد- الصحف- الغشاوة- الشمس- القمر- الكون- اليقين- العبادة- الطين- الوادي- الفيض- الكاف- النون- الباء- الحاء- الفتح- الضمّ، الحروف... إلخ

ويؤازر هذا المعجم مَدَدٌ من التراكيب التي توحى بأنها مقتبسة من القرآن الكريم والحديث الشريف، أسعفت الشاعر في إبداع صور روحية ذات عمق ديني راسخ. وهي كثيرة لا تحطُّها عين من تبصّر وتدبّر.. وهذا يؤكد حضور المرجعية الإسلامية في التصوف السُّني المغربي، النابع من أصول العقيدة الأشعرية، وفروع فقه المذهب المالكي، ومن طريق الإمام الجُنيد أبي القاسم بن محمد البغدادي (ت 297 هـ) الذي أخذ عنه أهل المغرب؛ لأنه تصوّف عمليّ يمتح من الكتاب والسنة وأثر السلف الصالح.

ولننظر، على سبيل المثال، حضور «الوادي» و«التُّعل» و«النار» و«الجبل» و«قاب قوسين»... في إichاءٍ إلى التَّجَلِّي والتكليم، نحو ما صَوَّرَهُ القرآن الكريم في رحلتي موسى| بالواد المقدس طوى. قال الله ﷻ: «وَهَلْ آتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوْى»<sup>(11)</sup>.

يقول أحمد مفدي<sup>(12)</sup>:

عَشْتُ أَرْضِي لَا أَشْتِي مِنْ دَوَائِي...!  
 إِنْ تَعَرَّتْ فِي كَأْسِهَا، خُمُرُ دَائِي...!  
 فِي وَجُومِي، لَا أَبْتَغِي غَيْرَ سِرِّهِ  
 رَافِلًا فِي وَادِي الرُّؤْيِ بِصَفَائِي...!

11- سورة طه. الآيات: 8- 9- 10- 11.

12- شجرة الابتهالات. ص: 13.

يقول الدكتور محمد بنعمارة: «وللنص الشعري صلة وثيقة بالقرآن الكريم، تتجلى في حضور الآية، والجملة، والمعنى، والتركيب القرآني. فالقرآن الكريم يمدّ التعبير الشعري برقائق المعاني، ولطائف الإشارات، ويظهر ذلك في المستويات الآتي: المستوى اللغوي، والمستوى المعنوي، والمستوى القصصي»<sup>(13)</sup>.

وعن هذا المدد المعجمي والدلالي من القرآن الكريم في شعر أحمد مفدي، توّصل الناقد الدكتور عبد الرزاق صالحى إلى أنّ الباحث «يكادُ يعسر عليه حصرُ جميع الاستمدادات اللفظية والدلالية المستقاة من النصّ القرآني في مدى شعر هذا الشاعر في دواوينه المتعددة»<sup>(14)</sup>، ويضيف: «إنّ مثل هذا الاستمداد من النصّ القرآني مرتبط في الغالب بالشعراء الميالين إلى القرآن الكريم الذي يُجَلِّي الكتابة في أرقى معالمها، وإلى شعر أهل التصوّف ومعجمهم، وما أمّر الشاعر أحمد مفدي ببعيد عن هذا المسار التّظمي، كما تدلّ عليه عناوين دواوينه، ومتونها الشعرية، وكما يدلّ عليه الحقل المعجمي المستخدم»<sup>(15)</sup>.

ومن ناحية أخرى نسجل في هذه القصيدة اهتماما بالغا بالشعر والشعراء! يتكشّف ذلك من خلال تكرارهما ستّ عشرة مرة بصيغ مختلفة: (الشعر/ أشعار/ الشاعر/ الشعراء)، ونزعم أن اهتمام أحمد مفدي بالشعر والشعراء واهتمامه بهما في هذه القصيدة، مرجعه أنّ الشعر سر من أسرار العروج إلى سدرّة العاشقين، ومطيّة يُرْبِي بها الشاعر إلى مراقي التجلي ومقامات الوجود. كما أنّ السُّعْر زاد العارفين في وحدتهم، ووردّهم في خلوتهم، ومُنْتَجِعُهُم في أسفارهم وتنقلاتهم.

يقول أحمد مفدي<sup>(16)</sup>:

صَبِيٍّ لِلشَّاعِرِ...! إِنْ لَاحَ الآتِي مِنْ  
وَعَنَاءِ الرُّحْلَةِ يَسْقَى...! مَا فِي القُرْبَةِ  
مِنْ سِحْرِ فَيَوْضِ الإسْرَاءِ...!  
الشَّاعُرِ فِي مَسْعَبَةِ يَا سَيِّدِي...!  
صَبِيٍّ لَهُ فِي كَأْسِكِ سُورًا مِنْ حَمْرِ مَرَايَاكَ عَدًّا...!  
أَوْ حَبِّءِ نَوَايَاكَ وَإِنْ...! لَمْ يَتَّقِ بِهَا فِي اللَيْلِ سِوَى  
سُبْحَانَ اللهِ: بِهَا يَرَوِي ظَمَأَهُ...!

13- الصوفية في الشعر المغربي المعاصر. ص: 334.

14- الاستمداد من التراث في شعر أحمد مفدي (طرائق ونماذج). د/ عبد الرزاق صالحى. ضمن كتاب: الوجود عشقا (جماعي). مرجع سابق. ص: 74.

15- نفسه. ص: 82.

16- القطماء. ص: 36 - 37.

لَكُنِّي بَيْنَ النَّهْرَيْنِ أُسَاكِنُ شِعْرِي غَاصِفَةً صَمَاءُ  
 وَبَقَايَا مَا انْسَاحَ بِأَبْوَابِ اللَّهِ  
 وَحُبُّكَ لَاحَ مَعَارِيحِ الشَّعْرِ غُدُوًّا وَرَوَاحًا  
 إِنْ وَقَفَ الشَّعْرُ عَنِ التَّرْحَالِ بِأَعْيُنِ نَاقَةٍ مِنْ رَحْلُوا  
 تِلْكَ الْفَطْمَاءُ وَمَنْ  
 يَهْوَى الشَّاعِرُ يِ  
 لَا يَنْتَقِيقَ الرَّثْقُ عَنِ الْحُبِّ وَجُودًا...!  
 إِنْ صَارَ هَبَاءَ الْقَوْلِ مَبَاخَا  
 فَعَلَى الشَّعْرِ سَلَامٌ....!  
 إِنْ طَفَحَ الطَّمِي وَكَانَ عُتَاءَ الْقَوْلِ عَيْبًا  
 فَعَرَاهُ الْإِعْمَاءُ، وَثَارَ الشُّعْرَاءُ!....

كما حظي «الحب» في قصيدة الفطماء بذات الاهتمام والعناية، وكيف لا وهو وزد الشاعر وترياق وجع التاريخ؟! فالحب لدى الشاعر أحمد مفدي إشارات تستقي معانيها من السموم والصفاء والتماهي... الحب فيض، وبحر لحي، وسعادة وعبادة ونقاء... وهذه الصفات تتكاثف لترسم لنا صورة فنية مفعمة بالحب والتعلق والنقاء. وفي ذلك يقول الشاعر<sup>(17)</sup>:

الْحُبُّ إِشَارَاتٌ كَيْفَ نُعَانِيهِ...؟!  
 إِنْ كَانَ اللَّهُ سَقَى الدِّينَ وَأَسْكَنَهُ  
 فَيُضِّضَ الْحُبُّ بِحَارًا...!  
 لِيَمُدَّهُ سَبْعُهُ أَبْحُرَ عِشْقِي  
 لَا تَتَفَدُّ...! هَلَّا نَحْمَدُهُ...؟!  
 لَا نَوْمُ حَتَّى نَغْرُقَ فِي بَحْرِ الْحُبِّ وَنَعُشَى  
 مِنْ سُورِ الرَّشْفَةِ  
 - هَلْ كَانَ يُجِبُّهُ...؟! مَا أَسْعَدَهُ...! -  
 أَيْكُونُ الْمَحْبُوبُ أَحَبَّ إِلَى الذَّاتِ مِنَ الذَّاتِ...!  
 وَأُنْقَى...!  
 إِنْ طَافَ عَلَى الْمَرَسَى  
 يَحْمِلُ - مَا يَتَوَارَى - فِي الْقَلْبِ يَقِينًا

هذا قولُ العاشِقِ فَصْلٌ من صمدي...!  
لا تَعْقِبِ على العشاق إذا غرِقُوا في الحُبِّ عبادةً...!  
فَأَجِبِي، يا سيّدي...!  
لا تُثْرِبِ اليَوْمَ على من يهْوَى اللهَ حُببًا...!  
فَالحُبُّ نَقَاءٌ  
في الذاتِ مِنَ الطينِ يَهيمُ علوًّا...!  
وصفاءً وسقايته...!

إن جمال البناء الفني في القصيدة/الديوان: «القطماء» منشؤه اهتبال الشاعر بالانزياحات الأسلوبية التي ترفع من درجات الشعرية فيه، وترتجل بخيال المتلقي إلى مستويات محجوبة من المعاني، يُشعره اكتشافها بلذات فريدة، وجمالية في التلقي هي منتهى الفهم وقمة الإدراك. وهذه السمة، حقيقةً، لا تختص بقصيدة/ديوان «القطماء» وحسب؛ بل تطبع شعر أحمد مفدي بأكمله.

ولنُشَدِّ - إن شئتَا - قوله في أحد مقاطع «موعد الإسراء»<sup>(18)</sup>:

وَحَبِيبُكَ مُنْذُ زَمَانٍ  
ما ذاقَ رُضَابَ العُدْرَاءِ  
المُخْتَوِمِ بِإِيهَابِ التَّعْمَاءِ...!  
أو ماءً،  
أو مَسَّ الظُّفْرِ العَنَمِ...!  
هلْ تُذَكِّرُ خُلْجَانِكَ لَمَّا مَاجَتْ:  
صَاحَتْ:  
مَنْ رَاغَ كَتَعَلَبِ غِرْبَانِ الدَّوِّ، سَرَى نَرَقَهُ...؟!  
فُومِي وَاعْتَصِمِي فِي (الْحَوْشِ) بِهِ الأورادُ  
وسُقَيَاهَا نَعْمُ...!

فلا شك أن ما في هذا المتن، على قصره، من درجات العدول والخرق يثير فضول النفس، ويحضرها لإعادة إنشاد المقطع لتبين ما يتخفى خلف الظاهر، ولذلك عُدَّ شعرُ أحمد مفدي سهلاً متمتعاً، يحتاج فهمه وإفهامه إلى القراءات المتعددة، وإلى التخمين وإعادة القراءة بعد مدة. فهو شعر يأبى إلا أن يمرر قارئه بوجع لا يقل عن وجع التخلُّق والنشأة، وألم

المخاض والولادة.. لكن حينَ يَصِلُ المتلقّي إلى لبّ المعنى، ويصيبُ حقيقةَ الفهم، نسي ما كابدَ وجاهد، وطوى ما تَعَسَّرَ عليه وتَقَعَّرَ، ثمَّ انماتَ في هُيُولِ الجَمال، وذابَ في أنداءِ اللذائذِ والرواءِ.

### خامساً/ جماليات البناء السردى

من السمات الأسلوبية التي تشكل ظاهرة في شعر أحمد مفدي برمته، ولها في قصيدة/ديوان «القطماء» حضور لافت؛ سمة تتعلق بالبناء السردى، مرَّدها ذلك النفس الطويل القوي الذي يَغشى العبارة السردية، وذلك التماسك الذي يشد ببيان الخطاب الشعري ويقوي لُحمة نسيجه، درجة استحالة اجتزاء مقطع من القصيدة للتمثيل والاستشهاد، دون أن يجبرك على التقاط ما قبله وما بعده من كلام.. وهو ما يدفعك إلى إحدى أمرين: إما أن تعصب الشاهد غصبا وتُكرهه على الانفصال عن سَداه، فتكون قد أسأتَ إليه من حيث خُلَّتْ أنك أحسنت؛ وإما أن تقله داخل بيئته الفنية التي استمسك بها واطمأن إليها- وإن طال الشاهد- فتكون بذلك قد أحسنتَ إليه من حيث أحسنَ إليه مُنْشِؤهُ.

وهنا نستحضر ما رواه الجاحظ بشأن جيد الشعر حين قال: «وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ فراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»<sup>(19)</sup>.

وشواهد هذا الضرب في شعر مفدي كثيرة، حتى إنه لا يكاد يخلو منها مقطع من المقاطع، وهو ما يجعلنا نحس أن الأسطر الشعرية متماسكة بما قبلها وما بعدها، يشد بعضها بعضا في اتساق وانسجام.. وحسي أني عندما كنت أنقل الشواهد في عرض هذه الدراسة كنت أعلم- في معظمها- أنني غاصبٌ لها بالاجتزاء، ولكنه إكراه الحيز وسلطة المكان.

فقصيدة/ديوان «القطماء»- من هذا المنظور السردى- جملةٌ سرديةٌ واحدة - نظيرَ جُلِّ شعرِ أحمد مفدي، وبخاصة في الدواوين التي ذكرناها في مُستهلِّ هذا المبحث- ودفقة شعورية واحدة كأنها وحي نزلَ إلى سماء الشاعر جملة واحدة -أولاً- قبل أن يلقى مفضلاً، وقد أجرى عليه ما يجريه المجوِّدون على الشعر - بعد التخمير- من ضروب التنقيح والتحكيم والتهديب... فينشده وقد استوى على عوده، متماسكا مترابطا، يتصل فيه اللاحق بالسابق، وتَقَرُّ فيه كلُّ لفظة بما جاورها وتساكنَ معها.



**خاتمة**

الفصل الثاني



إن الشاعر أحمد مفدي يشكل تجربةً شعريةً منفردة، ومدرسةً مستقلة بذاتها في القريض، تستقي مادتها من روح الواقع وحدوس التنبؤ والاستبصار، وتفرغها في قالب لغةٍ تمتح من صفاء العربية وحُرِّ معيَّنهما، وتكسوها أسلوباً يرفل في أبهاء الجمال والفنية، وتمنمها حُلَى المقدَّس، وفسيفساء الرمزية، ورحابة التخيل الشاسع الذي تنفتح معه آفاق الصور الفنية المناسبة...

ولذلك نجزم أن «أشعار أحمد مفدي الصوفية باتت تشكّل (طريقةً) في حدِّ ذاتها، من سلَّكها وحفظ أوراها ورددها في خلواته سما في المعارج، وارتقى في المدارج؛ فبات (قاب قوسين أو أدنى) من التجلّي والتَمَلّي!!»<sup>(1)</sup>. وفي هذا المبحث استدعينا قصيدة/ أو ديوان: «القطمَاء» الملحمية، فجلّينا بعض أسرارها، وبيّنا ما تخزنه من ملامح الجمال الفني والدلالي والإيقاعي والسردية...

ثم بعد كل هذا؛ فما ظنُّنا بأشعار خضعت رقابها لكل هذه الضروب من التدقيق والتنميق؟! ولكل هذه الأساليب من التخيّر والاستبدال؟!

لعمري إنّ أشعار أحمد مفدي وإشراقاته الصوفية نفحاتٌ قُدسيّة، وشفوفٌ عرفانية، وأورادٌ روحانية، وأنداءٌ وجدانية، يصدق فيها قول ابن النحوي (ت 513هـ):

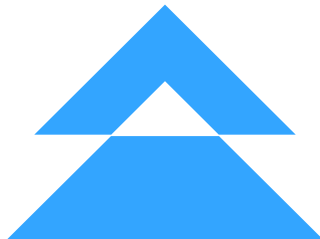
جِ كَمُ نُسَجَتْ يَيْدِ حَكَمَتْ \* ثَمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسِجِ  
 شَهْدَتْ بِعَجَائِبِهَا حَجَجُ \* قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْجَجِجِ  
 فَتَأَمَّلْهَا وَمَعَانِيَهَا \* تَأْتِي الْفِرْدَوْسَ وَتَنْفِرِجِ  
 وَأَشْرَبُ تَسْنِيْمَ مُفَجَّرِهَا \* لَا مَمْتَرَجًا وَبِمُمْتَرِجِ



# الفصل الثالث

أحمد مفدي

سيرته ومختارات من شعره الصوفي





## المبحث الأول

سيرة أحمد مفدي.. القائل: أنا.. من أكون؟!



يُعرف بشاعر المغرب الكبير، وشاعر المحبة، وشاعر الوطن، وشيخ شعراء الصوفية، وغيرها من الصفات والنعوت التي استقاها النقاد والدارسون من آثاره الإبداعية.. ويصنفونه من أوائل داري أدب الصحراء المغربية، جَمَعًا وتحقيقًا، ودراسة ونقداً، وتوثيقًا وتصنيفًا لشعر شعرائها الفحول؛ وهو من أوائل الذين فنّدوا الأطروحة القائلة بأسبقية المشاركة إلى ظاهرة البعث والإحياء، بعد أن تَبَيَّنَ علمياً سبُقُ شعراء الصحراء المغربية إلى إحياء الأنموذج وبعث قوالبه!



### فمن يكون الشاعر والناقد الدكتور أحمد مفدي؟!

سنكشف الغطاء، في هذا المبحث، عن سيرة ومسيرة الشاعر والناقد الدكتور أحمد مفدي، ونقربها من القراء والباحثين.

أحمد بن المفصل مفدي: ولد بغفساي/ إقليم تاونات في الحادي عشر من شهر نونبر عام 1948م، سنة «النكبة» حسب تأريخ المَحَن. بدأ تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية المنتشرة في بلدته الجبلية، ثم التحق بالتعليم النظامي بفاس متدرّجاً بين أسلاكه، إلى أن تَحَصَّل على الإجازة في الأدب العربي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس عام 1970م. ثم على دبلوم الدراسات العليا في الآداب في العام 1976م بالجامعة ذاتها، ببحث أكاديمي حقق فيه ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية للشيخ محمد الغيث النعمة، ليتوج مساره الأكاديمي بنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي/ المغربي خلال الموسم الجامعي: 1989م/1990م من جامعة محمد الخامس بالرباط، ببحث علمي في موضوع: «الشعر العربي في الصحراء المغربية: جذوره التاريخية، ظواهره وقضياه».

عمل أستاذاً للتعليم العالي، منتسباً إلى جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. قبل أن يلج عالم التدبير السياسي والشأن المحلي، عضواً بالبرلمان المغربي لعدة ولايات تشريعية. ورئيساً جماعياً، ورئيساً لأول مجموعة حضرية بفاس.

اهتم الدكتور أحمد مفدي بالأدب العربي وبخاصة أدب الصحراء المغربية، فأثبت بالحجج العلمية الدامغة سبُق رواد المدرسة الشعرية في الصحراء المغربية إلى حركة البعث والإحياء، سنواتٍ قبل ظهورها بالشرق؛ حيث صحح -للتاريخ- هذا المعطى الذي كان سائداً خطأً آنذاك.

أما في مجال الشعر؛ فقد وُلِدَ الدكتور أحمد مفدي «ودبُّوس الشعر في يديه»، فباحث قريحته بالشعر من ريعان شبابه تلميذاً، وطالبا.. قبل أن يصل فيه ويجول، شاعراً طليعياً متمكناً.

نشر أحمد مفدي مئات القصائد والدراسات العلمية في عديد المجلات والجرائد داخل المغرب وفي العالم العربي. كما نشر حوالي عشرين ديواناً شعرياً، وهي تباعاً:

- من قفر السماء (دُفِعَ إلى المطبعة عام 1969م فاختم). وقد أوماً إليه الدكتور سيد حامد النساج في الصفحة 253 من كتابه: الأدب العربي المعاصر في المغرب الأقصى. منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى 1975م. وفيه اعتبر الدكتور النساجُ أحمدَ مفدي شاعراً مُجَوِّداً.
- في انتظار موسم الرياح (1972م).
- الوقوف في مرتفعات الصحو (1990م).
- صهيل العشق (1996م).
- تأملات في ترائيل الناقة (2014م).
- سيدة الإشراق (2015م).
- ثورة الأموات (2015م).
- يا ريح الجنة هُبِّي (2015م).
- قطوف الوجد [في جزأين] (2016م).
- شطحات ديك الجن (2016م).
- أنا.. من أكون؟ (2018).
- لباس الشفوف (2018).
- الفطماء (2018).
- هودج العشاق (2018).
- مطايا الوجود (2019).
- مقامات العاشقين (2019).
- حدوس ابن عربي (2019).
- مملكة الحروف (2022).
- شجرة الابتهالات (2022).
- تاونات صهوة الجبل (2022).

وفي مجال نقد الشعر، أصدر الأستاذ الدكتور أحمد مفدي عام 2016م ذخيرةً نقدية كبرى في ثلاثة أجزاء، ويتعلق الأمر بكتابه الموسوعي: «الشعر العربي في الصحراء المغربية: جذوره التاريخية، ظواهره وقضاياها».

وفي التحقيق العلمي، صَدَّر له: «ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية» للشيخ محمد الغيث النعمة (ت 1339هـ). دراسةً وتحقيقاً، وذلك عام: 2022م.

وقد تَلَقَّى إبداعاتِ أحمد مفدي الشعريَّة والنقديةَ كثيرٌ من الباحثين، منذ سبعينيات القرن الماضي وإلى اليوم، بتقدير وإكبار. ومن الدراسات النقدية المنشورة التي اهتمت بأدبه- وهي كثيرة- نذكر:

### أولاً/ في صنف الكتب:

- الأدب العربي المعاصر في المغرب الأقصى. الدكتور سيد حامد النساج. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط1 سنة 1975م.
- في الأدب المغربي المعاصر. الدكتوران عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري. دار المعارف بمصر. ط1 سنة 1982م.
- شعر الطليعة في المغرب، الدكتور عزيز الحسين. منشورات عويدات/ بيروت- باريس. ط 1 سنة 1987م.
- القصيدة المغربية المعاصرة: بنية الشهادة والاستشهاد. ذ/ عبد الله راجع. منشورات عيون المقالات- الدار البيضاء. (ج1 سنة 1988م. ج2 سنة 1989م).
- التجربة الشعرية عند أحمد مفدي. تأليف جماعي. منشورات فرع اتحاد كتاب المغرب فرع فاس. مطبعة الأفق بفاس، 1996م.
- تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب من 1830م إلى 1990م. عباس الجراري. مطبعة الأمانة- الرباط. ط1: 1997م.
- الصوفية في الشعر المغربي المعاصر. محمد بنعمارة. المغرب. ط1: 2000م.
- في تأويل النص الشعري. عبد السلام ناس الكريم. مطبعة شركة إمريما مادري، تطوان. ط1: 2008م.
- مقامات الوطن في المنجز الشعري لدى أحمد مفدي. تأليف جماعي. مطبعة بلال بفاس. ط1: 2015م.
- شطحات القطوف. كتاب بالاشتراك، يضم الأعمال النقدية الفائزة بجائزة أحمد مفدي/ صنف النقد. الناشر: حلقة الفكر المغربي. مطبعة وراقة بلال. ط1: 2016. فاس.
- كتاب الوجود. بشير ونيسي. مطبعة أميمة، فاس. ط1: 2017م. (من تقديمنا).
- رسالة في صبا الشجن وصباية الوطن. بشير ونيسي. مطبعة أميمة، فاس. ط1: 2017م. (من تقديمنا).
- دلائل الإبداع: أبحاث في إبداعات أحمد مفدي الشعريَّة والنقدية. عبد الكريم الرحيوي. دار الأمان- الرباط. ط1: 2018.

- كتاب العقل الشعري في أدب أحمد مفدي. بشير ونيسي. مطبعة أميمة- فاس (2018). (من تقديمنا).
- الوجود عشقا وشعرا (دراسات في شعرية الحب والجمال عند الشاعر أحمد مفدي). إعداد الدكتور مصطفى شميعة. مطبعة بلال بفاس (2019).
- المرأة الرمز في شعر أحمد مفدي. تأليف جماعي. تنسيق الدكتورة حنان المراكشي. مطبعة بلال بفاس (2021).
- تقاسيم الشعر المغربي المعاصر. تنسيق الدكتورة محمد المتقن وحسن محب والحسين زروق. مطبعة بلال بفاس (2021).
- وغيرها من الإصدارات النقدية، لباحثين وببليوغرافيين، من أمثال أمجد مجذوب رشيد، فاطمة بوهراكة، عبد المجيد بطالي، وآخرين.

### ثانيا/ في صنف المقالات:

أما في صنف المقالات النقدية المنشورة في الجرائد والمجلات، فقد تناول أدب أحمد مفدي، الشعري والنقدي، بالدراسة والبحث عديد الباحثين، ونشرت بحوثهم في عدة جرائد ومجلات مغربية وعربية، ومن هؤلاء:

- د. عبد الله النفيسي (الملحق الثقافي لجريدة العلم / 22 شتنبر 1972م).
- د. عبد العلي الودغيري (الملحق الثقافي لجريدة العلم / 5 و 12 يناير 1973م).
- د. سيد حامد النساج (مجلة الأعلام العراقية، 1973م).
- د. نجيب العوفي (مجلة الآداب. يناير - فبراير 1995م).
- د. عبد السلام الموساوي (الملحق الثقافي لجريدة العلم / 29 يونيو 1996م).
- د. عبد السلام ناس عبد الكريم (الملحق الثقافي لجريدة العلم/26/04/1997).
- د. عبد الله الغواسلي المراكشي (مجلة دعوة الحق. العدد-419 السنة 59. ذو القعدة 1437هـ/ غشت 2016م).
- د. عبد الكريم الرحيوي (الملحق الثقافي لجريدة العلم: الخميس 03 مارس 2016، والخميس 30 مارس 2017م). ومجلة روافد بتطوان ومجلة البلاغة والنقد الأدبي المغربية، ومجلة اللغة بكيبالا الهندية.

وَدَثَّرَ باحثون دراساتٍ في تلقي إبداعات أحمد مفدي لا يتسع المجال لسردها... ومنهم على سبيل المثال: عبد الرزاق صالح، ومصطفى بوخيزة، وعمرو كناوي، ومصطفى الشاوي، وحسن لشقر، وخالد التوزاني، ومحمد الديهاجي، ونصر الدين شردال، والقائمة طويلة...

واعترافاً بقيمة أدب أحمد مفدي الفنية والجمالية؛ أدرجت وزارة التربية الوطنية المغربية قصيدته «أعراس الحجارة» ضمن كتاب اللغة العربية لإحدى المستويات الثانوية.

كما قام المخرج المسرحي الكبير المرحوم الدكتور محمد الكغطاي بإخراج عمل مسرحي استوحاه من ديوان الشاعر أحمد مفدي «الوقوف في مرتفعات الصحو»، وقدمه للعرض بغرفة التجارة والصناعة في فاس عام 1996م.

وخَصَّت وسائل الإعلام المرئية الرسمية، والإذاعية، والإلكترونية، والجرائد، وطينا وعربيا، الدكتور أحمد مفدي، بلقاءات وحوارات سلَّطت الضوء على مساره الفكري ومسيرته الإبداعية، وخصَّي بعدة تكريمات من لدن فعاليات المجتمع المدني، تماماً مثلما خصَّي منجزه الإبداعي بأيام دراسية وندوات وموائد فكرية، وبذلك فهو مُحصَّي ضمن أهم رجالات المغرب الخُلص المبدعين، ثقافةً وفكراً وإبداعاً ومواطناً..



## المبحث الثاني

مختارات من شعر أحمد مفدي الصوفي



### الاختيار الأول: قصيدة « إلهي .. »

(من ديوان: شجرة الابتهالات، ص: 65 وما يليها)

### الاختيار الثاني: قصيدتا «حدوس ابن عربي، وسلا أورد العشق..»

(من ديوان: حدوس ابن عربي، ص: 17 وما يليها)

### الاختيار الثالث: قصيدة «تَجَلِّيَاتُ ابْنِ طُقَيْلٍ فِي عَيْتِي الْعَالَمِ غَزَالَةَ»

وَدَعَ السُّوقَ لَعَلِّي بِهِ، أُمْسِي  
كَمَصَابِيحٍ، شُهُودًا فِي قَصِيدِي...!  
أَتَمَلَّى فِي صَلَاتِي، إِنْ صَفَوْتُ  
حِينَ كُنْتُ

أَفْتَحُ الْبَابَ لِحِلْمِي  
شَرْقَةً مَشْرَعَةً لِلْعَاشِقِ كِي  
يُكْرَعُ الْقَلْبُ، وَيَنْشُو  
فِي لَيْالِيهِ بِسَرِّ نَشِيدِي...!  
فِي لَيْالِيهِ يُقِيمُ مَهِيْبًا  
فِي فُؤَادِي...!  
لَأَرَى خِذْرَ حَبِيبي فِي ظِلَالِهِ  
حَقُّهُ النُّورُ الَّذِي فِيهِ يَدَاهُ  
مِنْ جَمَالِهِ  
هَلْ سَقَانِي مِنْ هَوَاهُ إِنْ تَكْشَفُ  
وَالْفُؤَادُ قَدْ رَأَى فِي  
حَبِهِ مَا قَدْ تَعَوَّدُ  
مِنْ سَنَائِهِ...!

\* \* \* \* \*

(من ديوان: ثورة الأموات، ص: 109 وما بعدها)

### الاختيار الأول:

**إلهي...!**

يَا حَبِيبي  
مَا نَسِيتُ  
أَنَّ حُبِّي إِنْ هَجَزْتُ  
غَيَّ ذَاتِي وَالهُيُولَى فِي مَقَامِي...!  
لَأُتَقِيمُ...!  
فَبَكَيْتُ...!  
وَوَجَدْتُ. فِي اخْتِسَابِي  
حَيْمَةً مَا جِدْتُ عَنْهَا.  
ذَاتَ يَوْمٍ حِينَ غُضُّتْ فِي صَفَائِكَ  
أَنْتَ حُبِّي وَيَقِينِي  
فِيكَ أَصْفُو حِينَ يَجْلُو  
عَمُّ لَيْلٍ يَعْتَرِينِي  
فَاسْرِ بِِي إِنْ  
صَاحَ شِعْرِي  
لِسَفِينِي

ياحيبي إن سَكْتُ، عن هَيَامِي، قَدْ حَمَدْتُ  
 إِنَّ خَجَلْتُ مِنْ دُنُوبِي فَالرجاءُ فِيكِ سَمْتُ  
 / وَرَجَاءٌ....!  
 ذا عُبَيْدٌ قَدْ دَعَاكَ...!  
 هل ترائني...!  
 جئتُ أسقي  
 مَنْ له السقيا مَابٌ.....؟!  
 من فيوض الوجد يشربُ  
 حاملا من نشوة الحُبِّ صفاءَهُ  
 إن تَقَرَّبَ  
 حَائِرًا: بين جنونٍ / وِشْجُونٍ / واهْتِبَالٍ /  
 فِي عَرَاءٍ.....!  
 كَيْفَ لِي لَوْ هَدَّنِي الهَجْرُ وما لي  
 في سروح العشق لَجْمٌ لِجِيادِي  
 وَأنا أَسْمُو وَحِيدًا في طريقي  
 واهترأقي قطرةً من نداكَ  
 ودعائي  
 طَرُقُ بابٍ  
 للذي ليس له  
 في هواه  
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ  
 لا إلهَ إِلا هُوَ  
 يا حيبي  
 يا طيبي  
 أَنْتَ شافي مَنْ دَعَاكَ  
 جَلَّ مَنْ يسقي ظَمَاءًا  
 من حياض  
 لا يعيها....!  
 مَنْ بَوَاقِيهِ سِوَاكَ

أنت هادي الغافلين  
 إن نسوا الذات التي  
 حلت فيوضا  
 في علاكا  
 يا حيبي إنني لا  
 أنتقي ضغنا لحلمي  
 حين أسمو كي أراكا  
 أرتقي بين حدوسي  
 دوح سوقي هل أنا من  
 كنت أنمات حفيًا في سناكا....!  
 ومدارات الهوى ما  
 لو يجليها له الله  
 تراءى سرها حوص ارتواء  
 من فيوضات عطاكا  
 \* \* \* \* \*

الليالي تتريا  
 نشوة بين الخواي  
 والنجوم، نائها في مجرات  
 لا تبالي  
 بالذين من تراهم عاشقين....!  
 هل تراني أم تحاذر....؟!  
 ناي راع سادن يبكي المراعي  
 والعواني راقصات في البراري  
 وعصاة العشق ناموا  
 ما دروا  
 هل تعري الكأس قطرًا

في اشتياق لِشفاهِكُ  
 ذا لَدِيدُ التُّورِ فِيهَا قَدْ تَلَأَلُ  
 دَفَقُ حُبِّ وَأَيْنُ يَتَدَلَّى  
 من (سماواتِ) ضِيَاءً.....!  
 تتقرَّبُ  
 - كعذارى سامقاتِ -  
 إن دنا مُنكَ لظاها  
 تَهَرَّبُ  
 أمسى لمزاتُ  
 والمريدُ  
 قد نأى من جمرها عَن هَمَزَاتُ  
 حين أضحى يتحسر  
 من سَتَاتِ لِحُرُوفِ سابحاتُ  
 في عُيُونِ  
 هل لَهَا من صَافِنَاتِ  
 تَحْتَمِي بَيْنَ حُدُورِ العَاشِقِينَ...؟!

\* \* \* \* \*

لا أَمَارِي إن دَرَّتْ مَنْ  
 سَكَنْتْ رَوْضَ الجَوَى  
 أن السواقي تُعرِفُ الرُّجْعَى  
 ولا تدري جُنُوحِي  
 حينَ أُمْسِي رَاكِبًا ليلَ سُبَاتِي  
 وحُدُوسِي  
 قد جَرَّتْ في نُفُوسِ  
 تَحْتَسِي شِعْرًا بِكَأْسِي...!  
 من هواها...؟!  
 ماس فيها، كَالصَّبَا  
 يُخفي هسيسه  
 في حروف  
 لا إِلَهَ إِلا هُوَ  
 وظهور الله فيها  
 نور وَصَلِ يَعْرِفُ الحُبُّ أَنيسَهُ  
 في قُلُوبِ تَتَحَصَّرُ  
 من عُيُومِ الشبها  
 ورنينُ الكأس

## الاختيار الثاني: حُدُوسِ ابْنِ عَرَبِي

أَنْ مِصْطَفَى سَوْفَا يُفُودُ الْمَسَافِيَا  
 وَيَأْتِي مِنَ الرَّأُوقِ مَا لَاحَ حَاوِيَا  
 أَرَاكَ لَطَى شِعْرٍ تَقُورُ مَعَانِيَا  
 كَتَهْرٍ أَبِي رُقْرَاقٍ رَوَى الْمَرَاسِيَا  
 وَتَبْنِي بَسَاتِينَ الْفُتُوحِ مَدَائِنَا  
 فَمَنْ ذَا يُنَدِّي الشَّعْرَ فَجْرًا سَوَاقِيَا؟!  
 سِوَاكَ بِمِعْرَاجِ الصَّفَا مِنْ دُؤَابَةِ  
 تَدُوبِ حَيَاءٍ فِي الشُّفُوفِ قَوَافِيَا...!  
 وَسِرِ الْحَفَاءِ فِي الْعُيُوبِ جَلَاوُهُ  
 فُتُوحٌ ، وَحَرْفُ النُّونِ لَاحَ مُنَاجِيَا  
 مَيِّتَ الْهَوَى ، مَرْوَاهُ صَحَّ صَبَابَهُ  
 يَحُبُّ الْمَطَايَا: مَنْ يَرُومُ الْإِقَاصِيَا...!  
 فَقَالَ : سَلَامٌ مِنْ صَفِيِّ الْمَوَاجِدِ  
 يُرَوِّي بِأَسْوَاقِ التَّسَامِي الرَّوَاسِيَا

\*\*\* \*\*

يَبِيْتُ بِظَهْرِ الْوَجْدِ حَرْفِي يُغَازِلُ  
 عَيْرًا يَبَابِ اللَّهُ بَسَّ الْأَعَادِيَا  
 وَفَتَحُ الْحَيَارَى بِالْحَدُوسِ مَقَامَهُمْ  
 يَعْينُ الْوُجُودَ، فَاسْتَبَانُوا الْمَرَامِيَا  
 رَأَهُ الَّذِي فِي سَكْرَةٍ مِنْ فَيُوضِهِ  
 بِرُكْنِ الْيَمَانِي إِنْ تَمَاهَى مُنَاجِيَا  
 إِذَا الرَّحْلُ مَالُوا لِلْقَيْتَافِي فَيَمُّوا  
 إِلَى رَمَزِمِ يَشْهُونَ شُرْبًا مُخَاوِيَا

\*\*\* \*\*

فَقَالُوا : هَذَا نَزَقٌ مَقَامًا نَطُوفُهُ...!  
 فُتُوْحًا ( لِمَعْمُورِ ) فَصَارَ الْمُشَافِيَا؟!  
 هَوَى مُصْطَفَى لِلجَارِقَاتِ لُغَاتِهِمْ  
 بِبَحْرِ المَعَانِي هَلْ تَرُومُ الأَوَانِيَا؟!  
 تَسِيحُ رُومًا فِي عُمُوضِ سُفُورِهِ—  
 وَبَاحَتْ لُغَاتُ الوُجُدِ (أَنْ لَأ، تَلَاقِيَا)  
 وَعَشَقِي إِشَارَاتُ الحَبِيبِ تَبْثُلًا!  
 إِلَى اللّهِ، كَشَفَ العَاشِقِينَ الحَوَافِيَا..!

### (سَلا) وَأورادُ العِشْقِ

أَقِلُّوا حُدُوجَ الرِّحْلِ بَيْنَ مَوَاجِعِي  
 أَكَانَ أَبُو رُقْرَاقٍ صَفُوعًا مُوَاتِيَا؟!  
 وَسِرِّي بِهِ تَسْمُو الوَصَايَا إِشَارَةً  
 تُحَايِي صُغُودًا/ فِي المَعَارِجِ / صَافِيَا  
 يَدَاتِي لَهُ مِئِّي / شُفُوفٌ يَرُثُّهُ  
 بِمَاءِ المَرَايَا فِي اسْتِيبَاقِي، المَعَانِيَا—  
 أَرَاكَ عَشِيقًا بَيْنَ حُوشٍ وَمَزْبَعِ  
 تَهِيمُ (بِكَافٍ) إِذْ يَفُورُ مَسَاعِيَا

\*\*\* \*\*

وَلَمَّا تَرَاءَتْ فِي سُجُودِي صَبَابَةً  
 يَبَابِ الرُّوَايَا، فِي (سَلا)<sup>(1)</sup> صِرْتُ غَافِيَا  
 وَكَانَتْ ( سَلا ) مَاءً تَسَامَى وَلايَةً  
 (بِحَسُونٍ) قَالَتْ: أَنشِدِ الوَرْدَ سَاقِيَا

1- سَلا: مدينة مغربية عريقة، تقع على المحيط الأطلسي، يفصلها عن مدينة الرباط مصب نهر أبي رقرق. (وسلا) من المدن التي عَمَرَهَا وَدُفِنَ بِهَا العَدِيد من الأولياء والصالحين، وتوجد بها اليوم عشرات الزوايا والأضرحة، وتُقامُ فيها موايسمٌ سنويةٌ معروفة.

فَتَادِيلَ فَجْرٍ، إِذْ تُجَلِّي مَفَازَهُ  
 فَإِنِّي بِحِصْنِي، لَا أُرُومُ الصِّيَاصِيَا  
 تَصِيرُ فُيُوضُ الْوَجْدِ فِيْنَا (مَشَارِبًا)  
 وَشَمْعًا، يُنِيرُ الْقَلْبَ مَا دُمْتَ شَادِيَا!  
 وَسُورُ الزَّوَايَا فِي حَنَايَا الْمَوَارِدِ  
 يَمُدُّ الْبِحَارَ الْهُوجَ عَضْفًا تَوَالِيَا؟!  
 حُجُوبُ الْهَوَى بَيْنَ السُّدُومِ تَتَوَرَّتْ  
 بِعَشْقِ الْحَبِيبِ وَالْحَفَا قَدْ بَدَا لِيَا!؟

\*\*\* \*\*

فَصَارَ لَهَيْبًا مُصْطَفَى وَمُعَانِدًا...!  
 يَضُنُّ الزَّمَانَ بِالذِي جَاءَ زَاوِيَا  
 حِكَايَاتِ صَفْوٍ عَنِ رَمَانٍ تَصَرَّرَ  
 وَلَمَّا رَمَاهُ السُّهُدُ حَرًّا مُتَاجِيَا!  
 وَمَنْ ذَا بَرَى فِي مُصْطَفَى إِنْ تَأَبَّطَ  
 مَدَادُ قَوَافِيهِ الْهَوَى، بَاتَ غَازِيَا  
 إِذَا شَعْرُهُ السَّاقِي تَرَامَى مُشَارِفَا  
 قَبَابَ ( سَلَا ) نُورًا يُبَاهِي الْخَوَارِيَا!

\*\*\* \*\*

وَمَاسَ قَصِيدُ كَالهَيْسِ إِسَارَةً  
 وَعَيْرُ الإِسَارَاتِ، يَمِيرُ البَوَاقِيَا  
 غُنَاءً وَلَعُوقًا أَوْ حُرُوقًا تَبَعَّرَتْ!  
 لَيْسِقِي شَذَاهُ العَاشِقِينَ المُنَائِيَا  
 ظُمَاءَ الوَرَى، والقَائِنُونَ تَيَمَّمُوا  
 بِسِحْرِ القَوَائِي كَيْ يُصَلُّوا خَوَافِيَا!  
 يَفِينُ الهَوَى سِدْرًا، يُخَضَّبُهُ النُّهَى  
 وَذَا المِصْطَفَى نَهْرًا يَشِيمُ القَوَافِيَا!  
 رَأَى الشَّاعِرُ الحَلَاحَ يَمْشِي مُعَاصِبًا  
 مِنَ السُّوقِ يَأْبِي بِالدَّرَاهِمِ قَاضِيَا!

### الاختيار الثالث:

## تَجَلِّيَاتُ ابْنِ طُقَيْلٍ فِي عَيْتِي الْعَالِمِ عَزَالَةَ

أَشْرَبُ مِنْ فَخْدَيْكَ سَمَاءً، أَرْضاً، وَهَجَاً....  
أَسْيَافُ خَلَائِقٍ تُسْنِفُ  
إِلَى الرَّحْلَةِ....  
نَجْوَى تَحْلُمُ بِالشَّهْدِ الْبَاجِسِ....  
أَشْرَبُ.....  
أَشْرَبُ.....  
أَشْرَبُ حَتَّى أَنْتَهَى الدَّاتِ الْهَاءِ!...  
حَتَّى أَدْخُلَ فِي فَصْلِ الْفَيْضِ وَأَدْعَايِ الرَّعْبَةِ!...  
تَتَوَّأ لَدِّي فِي حَلَمَاتِ الْكَوْنِ عَزَالَهُ!...  
مُدَنَّ الْأَشْوَاقِ الْهَارِيَةَ التَّكَلَّى  
أَنْصَرُّ مِنْ لَبَنِ الْإِتْدَاءِ الْعَابَاتِ، الرُّؤْيَا!...  
الْإِنْسَانُ.....  
وَأَسْرَهْضُ فِي لَبَنِ الْإِتْدَاءِ الْعَالِمِ  
الْعَالِمِ فِي...  
عَصَبٌ يَتَمَدَّدُ...  
أَوْ يَتَمَرَّدُ  
وَرِدَاً خَلْفَ الْأَشْطَانِ.....  
رَأْسِي يُوجِعُنِي....  
لَمَّا يَتَقَعَّرُ فِي الْأَمْلَاءِ السَّيِّئَةِ اللَّاسِيءِ....  
أَجِدُ الْعَالِمَ ، رَأْسِي ذَاكِرَتِي.....  
رَعَشَهُ صَفْصَافٍ  
تَارِيخاً أَيْبَسَهُ الْفُحْطُ، خَرَاطِيمَ الرِّيفِ.....  
مِحْبَرَةَ الْأَحْرَانِ (...)  
تَتَرَابَقُ فِي عُنُقِي  
بِرْكَ الشَّمْسِ، حَوَائِبِ لَعَةِ الْأَلْوَابِحِ النَّسِيَانِ!...

\*\*\* \*\*

عُدْتُ مِنَ الرَّحْلَةِ مِنْكَ / التَّحْتِ / الْفَوْقِ!...  
وَجُوبُ الدَّهْنِ مَحْمَلَةٌ  
تُثْقِلُهَا مِسْكَاهُ حَصَارَاتٍ....  
أَحْجَارٌ مَنْقُوشَةٌ...  
مِنْ عَيْتِكَ حَرَجْتُ، صَرَحْتُ، فَعَانَقَنِي أَقَافِي...  
وَالْيَكِ أَعُودُ...  
حَدَقَاتِي، كُنْتُ الْأَنْتِ عَزَالَهُ...  
حَدَقَاتِي بِحِرَانِ التَّقْيَا...  
فِي رَجَلِ الصَّحْوَةِ وَالْحَالَةِ  
أَعْفُو فِي عَيْتِكَ شِعَاعًا، وَهَجَاً...  
أَرْحَفُ فِيكَ يَمِينًا وَيَسَارًا  
أَصْحُو فِي الْعَالِمِ مَنُودًا!...  
مَنُودٌ فِي هَذَا الْعَالِمِ  
مَنْ يَثْقُنُ خَارِجَ مَمْلَكَةِ الدَّاتِ...  
الْعَالِمِ مَنُودٌ فِي ذَاكِرَتِي!...  
الْعَالِمِ رَأْسِي!...  
رَأْسِي فِي عَيْتِكَ نَهَادَى قَاطِرَةً!...  
أَرْصَدَهُ شَمْسِيَّةً!...  
وُلُغَاتٍ هَمَجِيَّةً!...  
قَاحِلَةً، يُرْعِشُهَا الرَّثْقُ عَلَى  
رُوعِ الْعَيْنِ الْمُطْبَقَةِ الْأَجْفَانِ....  
لَكِنْ أَتَأَلَّمُ...  
لَمَّا أَعْلَمُ أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَنْتَسِبُ!...  
أَتَأَلَّمُ...  
الْعَالِمِ مَنْقُوبٌ مِنْ فَوْقِ!...  
قَدَمِي تَنْتَسِبُ...  
عَرَفْتُ طَرُقَ الْوَصْلِ عَلَيْكَ إِلَى وَطِي....

\*\*\* \*\*

فِيكَ أَشْمُ مِنَ الْأُذُنِ الْأَوْدَاجِ...!  
 ظُلْمًا ، تَتَكَوَّنُ فِيهَا الرُّؤْيَا ، الرَّائِي ، الْمَرِي...!  
 أَسْمَعُ بِالْأَنْفِ الْمَخْرُوطِ هُرَاءَ أ  
 يَتَجَوَّفُ فِي الْعَالَمِ...!  
 لَمَّا تَتَوَلَّدُ فِي الْخَيْشُومِ عَنَاكِيْبُ سَائِبَةٍ  
 إِغْرَاءً ، جَارِيَةٌ تَتَعَرَّى...  
 أَلْحَسُ هَذَا الْحَرْفِ ، الْوَطَنِ ، الْقَدِيدِ ،  
 السَّجَّادَةَ.....

يَتَدَسُّ الْأَطْلَسُ فِيهِ شُعَاعًا خَرِبًا ، حَيْمَهُ....  
 أَقْطِنُهَا / أَعْمُرُهَا  
 أَسْبَحُ فِي اللَّيْلِ وَرَاءَ حُدُودِ الْإِسْمَنْتِ  
 وَقُضْبَانِ الْعَسَسِ الْمَعْرُوسَةِ....  
 أَتَكَلَّمُ بِالْعَيْنِ ، الْعَابَاتِ ، الْقَنْطَرَةِ ،  
 الْأَحْرَاشِ.....  
 أَسْبَحُ بِالرِّمْرِ وَرَاءَ كَثِيبِ اللُّغَةِ الْمَنْهُوشَةِ....  
 أَسْتَعِذُّ لَعْقِ الرَّمْلِ.....  
 الْجَبَلِ الْمَصْلُوبِ عَلَى صُحُفِ التَّارِيخِ الْأُولَى...!  
 أَبْصِرُ بِالْخَاطِرِ مَا انْسَابَ عَلَى  
 مَرْزَعَةِ الْحَرْفِ / الْوَطَنِ / الْمَخْرُوقِ مِنَ الْحَدِّ  
 الْأَيْمَنِ.....

يَتَدَاخَلُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْعَالَمِ....  
 تَتَرَاخَمُ فِي الذَّاكِرَةِ السُّحْبُ / الْأَوْهَامُ  
 تَخْرُجُ مِنْهَا نَفَاحَهُ....  
 رَأْسِي يُورِقُ فِي جُرِّ الْبَجَعِ.....  
 الْبَجَعُ الْعَالَمِ.....  
 الْعَالَمُ فِي ، يَتَنَاسَخُ إِنْسَانًا / بَجَعًا / نَخْلًا....  
 يَتَنَاسَلُ أَشْلَاءً ، نَطْفًا... مَوْتَى ... شَهْدَاءَ ...

فَسَمَاتِي تَنْتَسِبُ...!

ذَا كِرْتِي تَنْتَسِبُ...!  
 قَطَعْتَ بَحْرَيْنِ ، مَسَافَاتٍ ، جُرِّ الْحَزْلِ ،  
 عِلَاقَاتِ الرِّمَنِ....  
 الْعَالَمِ مَفْتُوحٌ....  
 فُكْتُ أَقْفَالَ مَطَايَا الْقُوطِ...!  
 فِي أَحْزِمَةِ الْأَبْوَابِ / الْوَطَنِ....

\*\*\* \*\*

أَتَأَلَّمُ...!  
 أَمْسَحُ رَقْمِي....  
 مِنْ قَائِمَةِ الْإِنْسَانِ ، الْجِنْسِ ، الْإِفْرَنْجِ....  
 أَشْرَبُ فَاتِحَةَ الْعُودَةِ فِي هَوْدَجِ نَاقِلِهِ  
 الْأَعْرَابِ...!  
 مِنْ عَيْنَيْكَ أَعُودُ إِلَى مِعْرَاجِ الْعُنْجِ  
 يَئِي أَكْبَرَ شَهَقَةٍ لَيْلٍ....  
 أَوْ يَنْفَلِتِ الْعَضْبُ الْمَلْعُومُ عَلَى الْأَعْصَانِ /  
 الْأَجْفَانِ / الْأُورْدَةِ / الْأُورَادِ...!  
 أَتَأَلَّمُ...!  
 لَكِنِ  
 لَمَّا أَقِطِفُ زَهْرَ الرَّمْلِ السَّائِلِ.....  
 لَمَّا عَاجَتْ رَاجِلِي  
 تَرْتَاحُ ، عَلَى رِيَّةِ السُّدْرَةِ فِي الرُّؤْيَا...!  
 أَنْوَهَجُ...!  
 أَشْرَبُ حَمْرًا ، لَبْنًا ، مِنْ فَخِذِ الْإِسْرَاءِ عَزَالَهُ...!  
 أَتَأَلَّمُ...!  
 لَكَيْ  
 أَذْرِكُ أَنَّ الْإِنِّي مِنْكَ يُعَاثِبُنِي بِالْحَرْفِ وَوَلَدَهُ....

\*\*\* \*\*

كُونِي

شَارَاتِ الْوُفْفِ / الرَّحْفِ / الْمَوْقِي /  
الأحياء....

كُونِي غَاصِفَةً تَسْلُخُ عَنْ جَسَدِ الْمُؤَمِّسِ  
أُحْذِيهِ الْجُنْدُ....!

كُونِي أَدَاءً غَزَالَهُ....  
كُونِي تَارِيخًا

نَهْرًا يَنْزِفُ آبَارَ صَدِيدٍ ، أَشْيَاءَ...!  
كُونِي كَاسِحَةً ، فَالْمَوْكِبِ آتٍ....

كُونِي غَاصِبَةً ، وَالنَّقْطِي الْبَحْرَ ، الْأَشْلَاءَ...  
كُونِي تَارِيخًا يَتَفَرَّقُ فِي بَغْدَادَ وَفِي قُرْطَبَةَ...  
فِي أَسْرِ الْحَمْرَاءِ ، الْبَيْضَاءِ ، الْأَطْلَسِ...!

كُونِي كَسْحَابَةَ لَيْلٍ تُمَطِرُ....  
تُخْصِبُ فِي رَايَةِ الْجُرْدَانِ الْحُبْلَى  
أَخْلَامًا / زَفَنًا / مُدْنًا تَهْرُقُ نَفْطًا يَحْتَرِقُ....!  
تُلْجَأُ....

تَتَقَلَّصُ فِيهِ الْأَعْرَاقُ....  
تَتَوَالَدُ فِيهِ الْمُدُنُ السَّمْطَاءُ  
الْقَارَاتُ الْمَقْهُورَةُ....

تَتَمَاجُ فِيهِ الْأَرْجُلُ وَالْأَيْدِي / الْأَعْتَاقُ  
الْعَرَقِيُّ....  
الْأَتُونَ مِنَ الْجُرْرِ الْمَسْبِيَّةِ  
مِنْ سَاحَاتِ النَّفْيِ ، الْمَوْتِ...!

\*\*\* \*\*

كُونِي لَمَّاحَهُ....

سِيرِي وَأَنْتِ سِخِي...!  
الْعَالَمُ فِيكَ تَنَاسَخُ...

تَتَكَوَّرُ فِي ذَاكِرَتِي عَيْنَاكَ....

مُدُنُ الْعِشْقِ تُسَاقِفُنِي

تَسَاقُطُ أَوْزَاقُ الْأَزْمَةِ الْمَخْصِيَّةِ....

تَتَحَلَّرُ أَلْسِنَةُ التَّارِيخِ الشَّارِعِ فِي الْحَانَةِ  
تَبْتَصِرُ الْأَكْوَاحَ الْكَرْجِيَّةَ...!

كَيْ تَأْتِيَنِي مِنْ سَاحِلِ خَارِطِي

تَأْتِيَنِي مِنِّي ، مِنْكَ رِسَالَهُ...!

فَأَنَا أَنْتِ....

تَشْرَبُنِي صُورَتِكَ ... أَشْرَبُكَ... أَشْرَبُهَا  
بِدَيْي...!

أَشْرَبُ فِيهَا دَمِي....

أَحْفَرُ فِيهَا أَطْلَالَ / جِيلاً / شَعْبًا يَنْدَفِعُ...!

سَيْلًا مِنْ تَحْتِ فُشُورِ الْحَرَسِ...!

تَحْفِرُنِي تَعْرِسُ فِي...!

الْحُبُّ الْإِبْطَالُ ، الْكُرَّةُ الْأَحْرَارُ ، الْأَسْرَى

الْأَرْضُ ، الْأَنْجَمُ....

أَحْفَرُ فِيهَا غَزَالَهُ....

تَحْضُنِي فِيهَا غَزَالَهُ

أُعْمِضُ عَيْنِي....

أَنْعَرَى أَنْكَسَفُ....

تَكْشِفُنِي فِي جَوْفِ غَزَالِهِ....

أَنْسَأَمِي....

أَضْعُدُ....

أَضْعُدُ....!

أَضْعُدُ حَتَّى أَرَاكَ...!

\*\*\* \*\*

وَرَأَى أَنَّ الصَّفْوَ بِهَا  
أَضْحَى فِي (رِخْلَتِهِ الرُّوْيَا)  
زَوْرَقَهُ وَمَتَالَهُ...!  
هَلْ أَتَسَامَى...؟!  
أَصْعَدُ...  
أَصْعَدُ...  
أَصْعَدُ حَتَّى أَرَكَ...!

يَسَاقُطُ مِنْهُ الْوَجْهُ الْعُلُويُّ... تَنَامَى...  
يَتَدَاعَى الْوَجْهُ الْخَلْفِيُّ....  
أَمْسَى سَبْحًا يَسْعَى ، عَجَلًا مَعْبُودًا...  
مَسْحُورًا، بَشْرًا نَاكِصَةً خَلَقْتُهُ....  
قَانَيْتَهُ سُبْحَتُهُ....  
عَاصِفَةً رُؤْيِيَّتُهُ....  
الْعَالَمُ يَمْشِي تَمَلًّا...!  
يَكْبُرُ فِي عَيْنِ السَّاعِرِ، عَاجِفَةً أَعْيُنُهُ....  
- الْعَالَمُ أَنْتَ الْإِنْسَانُ.....! -  
فَانْتَسِخِي أَرْمَاحًا، لَبَنًا ، سَهْلًا، طُودًا....  
جَبَلَ التَّوْبَادِ، دَوَيْقًا ، فُتْيَانَ الشَّرْقِ....  
صَعَالِيكًا، فَانْتَسِخِي  
فُرْسَانًا  
مُحْرَبًا ، مُنْدِيلَ مَنَازِهِ  
قَرْنَيْنِ يَتِيهَانِ غَزَالَهُ....  
الْكُونُ الْعَالَمُ بَحْرَانِ التَّقْيَا فِيكَ  
فَانْتَسِخِي....  
يَيُّ أَنْكَاشَفِ  
حَتَّى أَكْشِفَ فِي جَوْفِ بِيَاضِ السُّهْدِ  
مَنْ رَقَسَ فِي حِيطَانِ الْوُجْدِ سُؤَالَهُ...!  
وَأَرَى فِي عَيْنَيْكَ بَهَاءَ اللَّهِ...!  
يَتَدَلَّى مِنْ أَعْرَاشِ السُّبْحَةِ لَمَّا....  
تَقَطَّرُ أُنْدَاءُ الْعَاشِقِ فِي رُؤْيَاهُ ضِيَاءًا...!  
يُخْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَ يَرَاهُ مَدَاهُ....!  
الْعَاشِقُ لَوْ أَدْرَكَ مَا فِي الْحُبِّ مِنَ الْأَسْرَارِ  
بُحُورًا وَسُدُومًا....  
لَعَدَّتْ أَوْرَادُهُ فِي الْقَلْبِ فَرَادِيْسَ غُيُوبِ  
وَكُرُومًا.....



خاتمة الكتاب



في ختام هذه الدراسة نوّكد أحقية الشعر المغربي المعاصر بالنظر النقدي من مختلف زوايا ومناهج التلقّي، وبخاصّة الشعر الصوفي؛ كونه أحد روافد الفكر الإسلامي والإبداع الفني العرفاني، الذي يعكس تشبّع الشاعر المغربي بالقيم الإسلامية، والمعاني الروحية، والتجليات الوجودية، والخمولات التراثية الأصيلة، والرؤى الصوفية الجمالية، في أبعادها الكونية، وامتداداتها الوجودية.

ونؤكّد، أيضاً، التفات الشاعر المغربي إلى دقائق سُبُل التعبير عن مكونات أفكاره، وترجمة خَلجاتِ روحه، فاستأثر بالعبارة وصال في تطويعها لتتماشى وانفعالاته، وتتناسب ورؤاه وحدوسه؛ ثم لَمَّا ضاقت العبارة وقصّرت في أداء المراد؛ صَمَن الشعراء الإشارات أوجاعهم، وحَمَلوا الرموز صورهم وأسرارهم؛ فأدّت الرسالة بإيفاء، وبلّغت الأمانة بصدق، وذلك سرٌّ شريفٌ من أسرار براعة الإبلاغ، وأسلوبٌ طريفٌ من أساليب بلاغة الإمتاع.

وإن الحرف الصوفي العرفاني واحدٌ من أهمّ تلك الوسائل والإشارات، ومن أدقّ تلك اللطائف والمعارف، في مختلف صورته التي يتجلّى فيها. وقد بيّنا قوّته الإبلاغية في شعر أحمد مفدي، وقدرته على صناعة الجمال الإيقاعيّ والدلاليّ والبلاغيّ... وهو ما مهّد طريقنا للحكم، باطمئنان، بأن الحرف لدى الشاعر أحمد مفدي لُغَةً متكاملةً في ذاته، يتواصل بها مع صفوة السالكين، ويتماهى عبّرها مع أرواح السارين المرتقين. وربّما- ومن هذا المنظور- وجّهنا بوصلة التلقّي النقدي/ العرفاني/ اتّجاهه كونه أحد أبرز وجوه الشعر المغربي الصوفي في عصرنا، اعترافاً بشاعريته القدّة، وإشادةً بإشراقاته الجمالية والصوفية، التي انبجست عن مكونات الذات في صفائها الروحي، وطهرها العرفاني، وكيونتها الوجودية.

ولقد أوضحنا تجليات ذلك في ما اخترتته أشعاره من نفحاتٍ قدسية عميقة، وإشاراتٍ صوفية جليّة، عرّجت به/ وبنا/ إلى مقامات العاشقين علوّاً وسُمُوّاً، وإلى أحوال السالكين اقتراباً ودُنُوّاً، إلى أن صار/ وصِرنا معه/ قاب قوسين أو أدنى من النّظر والمشاهدة، ومن التّجليّ والمكاشفة.

وإنه ما كان ليتأتّى له ذلك إلا لأنه أودع تلك المواقف والمخاطبات، والإشارات والإشراقات، جميعً مكونات القصيدة الصوفية، بدءاً بالعبارة، ومروراً بالكلمة، وانتهاءً بالحرف! إذ كلّما اشتكت العبارة من ثقل حمل المعنى، لجماله أو جلاله، انبرى الحرف إلى أداء المهمة، وانقاد إلى تصريف وجوها؛ إذ الحروف للمهمّات الصّعب، والمذلّهّمات الثّقال!

بالحروف رَجَبَتِ اللغة العربية وأظهرت حَبَاهَا، واتّسعت الرؤيا وصرّفت عبّنها، وأخصبت البلاغة وأخرجت سَطَأها. وإن الصوفية «من أكثر الفرق توسّعاً في علم الحرف؛ لأن له علاقة باعتقادهم في وحدة الوجود، وأساراً لا تُدرك إلا بمجاهدة وترويض النفس»<sup>(1)</sup>.

1- أسرار الحروف وحساب الجمّل. رسالة ماجستير أعدها طارق بن سعيد القحطاني. إشراف الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر. كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية. 1429/1430 هـ- 2008-2009 م. ص: 206 305-

وفي هذا المقام ارتقت وسائل التعبير في شعر أحمد مفدي إلى أقصى مراتب الشعرية؛ فانطبعت اللغة بنسماتٍ من «السحر الحلال»، وانسجت الصور بانزياحاتٍ من رقائق المجاز، وانكشفت الرؤى بإشاراتٍ من حقائق الاستغراق، واهتزت الإيقاعات بدفقاتٍ من موسيقى المناجاة والسماع والإنشاد والتوسُّل، «تبدو فيه العلاقة قائمة بين الصوت الإنسانيّ وضعفه وانكساره؛ والصوت الإلهيِّ بقوته وعظمه ورحمانيته»<sup>(2)</sup>.

وفي ثنايا هذه الدراسة حرصنا على تتبع كل مواطنٍ قوّة القصيدة الأحمديّة الصوفية، دلاليًا وصوتيًا وبلاغيًا، نلتقط أسرار البراعة ومواطن الجمال، فننظّمها لئلاّ مضيئةً في عقد الجلال. ولذلك المسعى خصصنا حيزًا كافيًا للحرف الصوفي، في محاولةٍ للوقوف على أسرار براعة الشاعر أحمد مفدي في توظيف الخطاب الإشاري في نفحاته القدسية، ثم أفرنا مجالًا وافيا للارتحال معه في مسراه العرفاني، وأحواله الكونية، ومقاماته الوجودية، وشفوفه الصوفية... فتحقق العروج، وتحققت الرؤيا.

ومدعاةً لهذا بات عدلاً توصيف شعر أحمد مفدي فيصاً من الفيوضات العرفانية الجمالية، ونفحةً من النفحات القدسية الربّانية، التي تشد الحقائق الأحمديّة بإشراقات العشق الرحماني، وأوراد الحب الإلهي. كما بات عدلاً أكثر أن يلتفت التلقي النقدي المغربي والعربي، ووحدات البحث الأكاديمي في المختبرات الجامعية، والرابطات العلمية، إلى منجز الشاعر أحمد مفدي، وإلى منجز أقرانه من شعراء وشواعر المغرب، بالدراسة العلمية التي تتيحها المناهج الأدبية المختلفة؛ لأن شعرهم حقيقٌ بالتلقي، جديرٌ بالقراءة، حريٌّ بالتأويل والنظر والنقد الرصين..

إثر ذلك، فقط، تستمرّ سمفونية الجمال في بيئة الشعر تصدح سدواً، وتتوالى تراتيل الوجود مع أنفاس المنشدين تتعالى حدواً! وأنداك ستعرس شفوف المحبة في أرواح السالكين وتزهر، ونضى حروف العشق في أنفاس المحبين وتقمّر... وإذا أزهرت الأرواح وأينعت، وأقمرت النفوس وأضاءت.. فلات حين جمال! ولات حين جلال! ولات حين محبة ومودةٍ ووصال!!

## تجريد المصادر والمراجع



أولاً/ كلام الله ﷻ: القرآن الكريم (المصحف المحمدي برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، رضي الله عنهم).

ثانياً/ المصادر والمراجع من كلام البشر:

• آية وارهام ( أحمد بلحاج):

- أبجدية الوجود: دراسة في مراتب الحروف ومراتب الوجود عند ابن عربي. منشورات أفروديت، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش. ط1: 2013م.
- الخط العربي وعلم الحرف (جمالية وأسرار ودلالات ورموز)، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة- المغرب، ط1: 2007م.
- ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية. 1425هـ/2004م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن): مقدمة ابن خلدون. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1413هـ/1993م.
- ابن الدَّبَّاع (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري): كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب. تحقيق: هـ. ريتز. دار صادر، بيروت.
- ابنُ طفيل: حي بن يقظان. قدم له وحققه الدكتور فاروق سعد. منشورات دار الآفاق، بيروت. ط5: (د.ت).
- ابن عربي (محي الدين):
- سر الحروف. رسالة ضمن كتاب: رسالتان في سر الحروف. تقديم وتحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان. المكتبة الأزهرية للتراث، مصر. ط2: 1426هـ/2005م.
- الفتوحات المكية. صححه: أحمد شمس الدين. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات. تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1427هـ/2006م.
- ابن علي (حمزة): الرسالة الموسومة بكشف الحقائق. ضمن كتاب: النقط والدوائر (من كتب الدروز الدينية). تحقيق كريستيان فريدرخ سيبلد. ترجمة محمود كيببو. شركة بيت الوراق للنشر والتوزيع المحدودة، بغداد. ط1: 2012م.
- ابن مسرة (الجبلي): كتاب خواص الحروف وحقائقها وأصولها. ضمن كتاب: نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي، تقديم وتحقيق: الدكتور محمد العدلوني الإدريسي. دار الثقافة، المغرب، ط1: 1429هـ/2008م.

- ابن مقلة: رسالة في الخط والقلم. ضمن كتاب: ابن مقلة خطاها وأديبا وإنسانا. تصنيف وتحقيق: هلال ناجي. سلسلة خزائن التراث، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام. بغداد. ط1: 1991م.
- الأصفهاني (الحافظ أبو نُعيم أحمد بن عبد الله): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الفكر ببيروت. 1416هـ/ 1996م.
- الباقلائي (الإمام): إعجاز القرآن. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان. ط4 (د.ت).
- بسج (أحمد حسن): ديوان ابن عربي. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1416هـ/ 1996م.
- بنعمارة (محمد):  
- الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر. شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب. ط1: 1422هـ/ 2001م.  
- الصوفية في الشعر المغربي المعاصر (المفاهيم والتجليات). شركة النشر والتوزيع: المدارس، الدار البيضاء، المغرب. ط1: 1421هـ/ 2000م.
- البوني (الشيخ أحمد بن علي):  
- شمس المعارف الكبرى: مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت- لبنان. ط2: 1427هـ/ 2006م.  
- الكشف في علم الحرف: مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت. ط1: 2004م.
- التلمساني (عفيف الدين سليمان بن علي). شرح التائية الكبرى لابن الفارض. تحقيق: أ.د. جوزي سكاريتولين ومصطفى عبد السميع سلامة. تصدير: أيمن فؤاد سيد. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة. 1442هـ/ 2022م.
- الجاحظ:  
- البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. طبعة 1990م. دار الجيل، بيروت- لبنان.  
- رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. طبعة 1991م. دار الجيل، بيروت- لبنان.
- الجزائري (أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسني): نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة. تحقيق أحمد فريد المزيدي. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1425هـ/ 2004م.
- جماعة: تقاسيم الشعر المغربي المعاصر «أعمال المنتدى الربيعي الأول للشعر بفاس تكريماً للشاعر أحمد مفدي». تنسيق الدكاترة: محمد المتقن وحسن محب والحسين زروق. مطبعة بلال، فاس- المغرب. الطبعة الأولى: 2021م.
- جماعة: الوجودُ عشقاً «دراسات في شعرية الحب والجمال عند الشاعر أحمد مفدي». إعداد الدكتور مصطفى شميعة. مطبعة بلال، فاس- المغرب. الطبعة الأولى: 2019م.

- الجيلي (الشيخ عبد الكريم): الكهف والرقيم في شرح «بسم الله الرحمن الرحيم». اعتنى به: د/ عاصم إبراهيم الكيالي.
- الجيلاني (عبد الكريم بن إبراهيم): الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. مكتبة ومطبعة صبيح وأولاده، ومطبعة حجازي، ميدان الأزهر، مصر. طبعة: 1368هـ/ 1949م.
- الحزالي (أبو الحسن): تفهيم معاني الحروف المسماة: مواد الكلم في السنة جميع الأمر. رسالة ضمن كتاب: رسالتان في سر الحروف. مصدر سابق.
- الحفني (عبد المنعم): معجم مصطلحات الصوفية. دار المسيرة، بيروت. ط2: 1407هـ/ 1987م.
- الحلاج:
- ديوان الحلاج. علّق عليه: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: 1419هـ/ 1998م.
- الطواسين وبستان المعرفة. إعداد وتقديم: رضوان السح. دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا. طبعة 1994م.
- الرحيوي (عبد الكريم):
- دلائل الإبداع (أبحاث في إبداعات أحمد مفدي الشعرية والنقدية). دار الأمان- الرباط. ط1: 2018م.
- مرافق الخطاب (فصول في جماليات التراث العربي وتلقيه). دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان- الأردن. ط1: 2022م.
- السراج: مصارع العشاق. دار صادر، بيروت. (د/ط-د/ت).
- السلاوي (محمد أديب): الحروفية والحروفيون. البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع- القنيطرة، المغرب. ط1: 1998م.
- السهروردي: ديوان السهروردي المقتول. صنعه: الدكتور كامل مصطفى الشبيبي. مطبعة الرفاه، بغداد. 2005م.
- الشبلي: ديوان أبي بكر الشبلي. تحقيق الدكتور كامل مصطفى الشبيبي. مطابع دار التضامن، بغداد. (ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه). 1386هـ/ 1967م.
- العمالي (أكرم بركات): حقيقة الجفر عند الشيعة. تقديم العلامة المحقق جعفر المرتضى. دار الصفوة، بيروت- لبنان. ط1: 1416هـ/ 1995م.
- العطار (فريد الدين النيسابوري): منطق الطير. ترجمة وتقديم الدكتور بدیع محمد جمعة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الرابعة: 2006م.

- عميرة (عبد الرحمن): التصوف الإسلامي (منهجًا وسلوكًا). مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. مطبعة نيفرتيتي: 1982م.
- عويضة (الشيخ كامل محمد محمد): ابن مَسْرَة الفيلسوف الزاهد. إعداد: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ط1: 1414هـ/1993م.
- القادري (الشيخ نور الدين الباني): الكلام على أسرار البسملة. رسالة ضمن كتاب: الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية: تحقيق أحمد فريد المزيدي. دار الآفاق العربية، القاهرة. ط1: 1431هـ/2010م.
- القحطاني (طارق بن سعيد): أسرار الحروف وحساب الجمل. رسالة ماجستير. إشراف الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر. كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية. 1429/1430هـ- 2008-2009م.
- القشيري، النيسابوري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان): الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق: معروف مصطفى زريق. المكتبة العصرية، بيروت. 2011م/1432هـ.
- الكاشاني: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام. صححه وعلق عليه: مجيد هادي زاده. الناشر: ميراث مكتوب. المطبعة: مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران- إيران. ط1: 1379هـ/ 2000م.
- الكلاباذي (تاج الإسلام، أبو بكر بن محمد): التعرّف لمذهب أهل التّصوف. تحقيق: د/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. القاهرة: 1380هـ- 1960م.
- لوري (بيير): علم الحروف في الإسلام. ترجمة: داليا الطوخي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ط1: 2006م.
- مفدي، أحمد (دكتور): الدواوين الشعرية الآتية:
  - أنا ... مَنْ أكون...؟!، مطبعة وراقة بلال- فاس. ط1: 2018م.
  - تأملات في تراويل الناقّة. مطبعة أنفوبرانت، فاس. ط1: 2014م.
  - ثورة الأموات. مطبعة أنفوبرانت، فاس. ط1: 2015م.
  - حدوس ابن عربي. مطبعة وراقة بلال- فاس. ط1: 2019م.
  - سيدة الإشراق. منشورات دار الأمان- الرباط. ط1: 2015م.
  - شجرة الابتهالات. مطبعة وراقة بلال- فاس. ط1: 2022م.
  - سهيل العشق. البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، المغرب. ط1: 1986م.
  - القَطْمَاء. مطبعة وراقة بلال، فاس. ط1: 2018م.
  - في انتظار موسم الرياح. مطبعة النهضة، فاس- المغرب. 1972م.
  - قطوف الوجد. مطبعة وراقة بلال- فاس. ط1: 2016م. جزآن.

- لباس الشفوف. مطبعة وراقه بلال - فاس. ط1: 2018م.
- مطايا الوجود. مطبعة وراقه بلال- فاس. ط1: 2019م.
- مقامات العاشقين. مطبعة وراقه بلال- فاس. ط1: 2019م.
- مملكة الحروف. مطبعة وراقه بلال، فاس. ط1: 2022م.
- هودج العُشاق. مطبعة وراقه بلال، فاس. ط1: 2018م.
- الوقوف في مرتفعات الصحو. مطبعة وراقه بلال- فاس. ط2: 2018م.
- يا ربح الجتة هُبي. مطبعة أنفوبرانت، فاس. ط1: 2015م.
- النَّفَّري، محمد بن عبد الجبار. المواقف والمخاطبات. تحقيق: آرثر أربري. تقديم وتعليق: د/ عبد القادر محمود. الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1985م.
- همداني (علي بن شهاب الدين):
- أسرار النقطة: ترجمة: توحيد مكاشفان. مقدمة وتصحيح: محمد خواجوي. دار انتشارات مولى، طهران. ط2: 1382.
- الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية: تحقيق أحمد فريد المزيدي. دار الآفاق العربية، القاهرة. ط1: 1431هـ/2010م.
- ولد أدب (أدي): بصمة روجي. مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش- المغرب. ط1: 2018م.
- يعيش (محمد): شعرية الخطاب الصوفي «الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجاً». منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 1. مطبعة سيياما، فاس. 2003م.



## الفهرس



- 5 ..... الإهداء -  
7 ..... تصدير -  
9 ..... تقديم: بقلم الشاعر والناقد الأستاذ الدكتور محمد يعيش -  
13 ..... مقدمة الكتاب -

## 17 ..... الفصل الأول: أسرار الحرف الصوفي وبراعة الإيحاء العرفاني

- 19 ..... بساط -

### 21 ..... المبحث الأول: في إشارية الحرف في الخطاب الصوفي

- 23 ..... تمهيد -  
23 ..... الحروف حُتوف -  
26 ..... الحروف أمة -  
27 ..... شعرية الحرف الصوفي -

### 29 ..... المبحث الثاني: في أسرار الحروف في شعر أحمد مفدي

- 31 ..... أولاً/ أسرار التُّقط -  
34 ..... ثانيًا/ أسرار الدوائر -  
36 ..... ثالثًا/ خفايا الحروف -  
39 ..... رابعًا/ مملكة الحروف -  
41 ..... الألف والباء/ الطهارة والخلاص -  
46 ..... الجيم والذال/ اليقين والتعالى -  
48 ..... الهاء والواو/ الهوية والودّ -  
53 ..... الحاء والباء/ الحُبّ حُرقة وخِرقة -  
55 ..... الكاف والنون/ الكينونة العاشقة -

### 59 ..... المبحث الثالث: خصائص فنية وأسلوبية

- 61 ..... المعجم -  
63 ..... اللغة -  
63 ..... الإيقاع -  
65 ..... الصور الفنية -  
69 ..... خاتمة الفصل الأول -

## 73 ..... الفصل الثاني: أحمد مفدي في مقاماته وأحواله وشفوفه الصوفية

### 75 ..... المبحث الأول: المقامات الصوفية بين الرضا والجنون

- 77 ..... - تمهيد  
78 ..... - أولاً/ مقام الرضا والابتهاال  
81 ..... - ثانياً/ مقام الجنون والاهتبال

### 87 ..... المبحث الثاني: الوطنُ مقاماً صوفياً

- 89 ..... - توطئة  
90 ..... - الوطن في مقاماته الصوفية  
90 ..... - أولاً/ مقام المحبة  
94 ..... - ثانياً/ مقام العشق  
97 ..... - قفل الكلام

### 99 ..... المبحث الثالث: القصيدةُ الديوانُ وشعريتهُ الشفوفِ الصوفي

- 101 ..... - أولاً/ «القصيدة الديوان» أو «الديوان القصيدة»: الماهية والدواعي  
103 ..... - ثانياً/ جماليات العتبات، أو التجلي والخفاء في عنوان القصيدة  
104 ..... - ثالثاً/ جماليات الإيقاع  
106 ..... - رابعاً/ جماليات الإبداع الدلالي  
111 ..... - خامساً/ جماليات البناء السردى  
113 ..... - خاتمة الفصل الثاني

## 117 ..... الفصل الثالث: أحمد مفدي: سيرته ومُختاراتُ من شعره الصوفي

### 119 ..... المبحث الأول: سيرة ومسيره أحمد مفدي.. القائل: «أنا.. مَنْ أكون؟!»

### 127 ..... المبحث الثاني: مختاراتُ من شعر أحمد مفدي الصوفي

- 129 ..... - الاختيار الأول/ قصيدة «إلهي..!»  
132 ..... - الاختيار الثاني/ قصيدتا: «حدوس ابن عربي» و «(سلا) أورد العشق»  
132 ..... - «حدوس ابن عربي»  
133 ..... - «(سلا) أورد العشق»  
136 ..... - الاختيار الثالث/ قصيدة: «تَجَلِّيَاتُ ابْنِ طُفَيْلٍ فِي عَيْتِي الْعَالَمِ غَزَالَةً»

141 ..... خاتمة الكتاب

145 ..... تجريد المصادر والمراجع

صَدَرَ لِلْمُؤَلِّفِ



- أسرار البراعة في الشعر الصوفي المغربي المعاصر (إشراقات عرفانية في شعر أحمد مفدي). 2026م (هذا الكتاب).
  - أنوار الجنان «في شعر مانع سعيد العتيبة وفكره». دار المقدمة للنشر والتوزيع، تونس. 2025م.
  - المسجد وشعرية القيم لدى الشاعر الدكتور مانع سعيد العتيبة. أنفوبرانت- فاس، المغرب. 2023م.
  - ديوان بشامة بن الغدير «جمعاً وتحقيقاً ودراسةً». دار ملامح. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة. 2022م.
  - مرافئ الخطاب «فصول في جماليات التراث العربي وتلقيه». دار الخليج، عمان، الأردن. 2022م.
  - دلائل الإبداع «أبحاث في إبداعات أحمد مفدي الشعرية والنقدية». دار الأمان. الرباط، المغرب. [نُشر بدعم من وزارة الثقافة المغربية]. 2018م.
  - الشعر الجاهلي في ضوء الدرس اللغوي الأسلوبي الحديث. دار كنوز المعرفة. عمان، الأردن. 2015م.
  - جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي. دار كنوز المعرفة. عمان، الأردن. 2014م.
  - في رحاب البلاغة العربية «أسلوب التطريز بين المفهوم والوظيفة». أنفوبرانت- فاس، المغرب. 2014م.
  - البديع ومنتعة القراءة الجمالية. أنفوبرانت- فاس، المغرب. 2012م.
- وعشرات المقالات والأبحاث نُشرت في كتبٍ جماعية، وفي مجلات مغربية وعربية محكمة.
- للتواصل مع المؤلف: [rahiouy11@hotmail.com](mailto:rahiouy11@hotmail.com)



حق نشر اللوحات



Abi-caligraff  
12 rue aux sports  
21120 Til Châtel

à Dijon, le 04/02/25

Je certifie Abi-caligraff, artiste calligraphe résidant à Til-Châtel (France), autorise M. Abdoul Karim Al Rahimi, à utiliser, libre de droit, et à usage exclusif, six (6) images de mes compositions pour page de couverture et illustrations, d'un ouvrage de poésies à paraître au cours de cette année 2025.

En dehors de cet usage, les calligraphies restent la propriété de leur auteur.

Dans le cadre de cette publication, Il est convenu avec Monsieur Al Rahimi de modifier sur la page suivante la couverture de l'ouvrage la note suivante =

" Calligraphies réalisées par Abi-caligraff, et publiées avec l'aimable autorisation de leur auteur - [www.abi-caligraff.com](http://www.abi-caligraff.com) -

  
à Dijon le 04/02/25





إنّ هذا الكتاب دلّنا على مَجْمَعِ بَيْنِ الشَّعْرِ الحَقِيقِي،  
والحَقِيقَةِ الشَّعْرِيَّةِ، حيثُ عندَ صَخْرَتِهِ قد يتخذُ المعنى في  
البحرِ سَرَبًا، فَتَتَّصَعُفُ المسغِبَةُ الرُوحِيَّةُ والجُوعُ الجَوانِي.

أحمد مفدي المناضل الكبير أَوَّانَ كانتِ الكِتَابَةُ الصُوفِيَّةُ  
تُرْمَى بالدروشة، وتُنوِّمُ الوَعْيَ النُقْدِي، وتُخَدِّدُ الحِوَّاسَ  
الخَمْسَ، رَفَعَ صَوْتَهُ فَاسْمَعْ، وَصَدَعَ فَأُوجِعْ. أحمد مفدي  
الشاعر الصوفي لم يَدْرِ به أحدٌ حينَ كَسَرَ كَرْسِيَّ الياءِ في سره  
وعلنه. أحمد مفدي لم يكن يقولُ: لي، وبي، وعيِّي، ولديي...  
لأن كرسِيَّ الياءِ الدَّوَّارِ دَاعٍ إِلَى العُجْبِ، والعُجْبُ لا يسكن  
قلبَ شاعرٍ جرى في نُسغِهِ الإلهامُ. أحمد مفدي الإنسان  
العميقُ أنصفته السياسة، وظلمه النُقدُ الأدبي، أَوَّانَ انخدع  
هذا النُقدُ بالصوتِ الإيديولوجي، والانتماءِ العشائري، ضدًّا  
على قيمِ النص، والطاقةِ النوعية، والبهجةِ الروحية، والإقامةِ  
الجوهريَّة، والأبجديةِ المطهَّرة.

لذلك فإني أعتبر هذه القراءة ذاتَ قدرٍ نَصِيَّةٍ، وكفَاءَةٍ  
ذوقية، من حيثُ لم يجعلِ الموضوعيةَ الباردةَ قُفَّارًا  
حديديًا يضغطُ على نصٍ أبيضٍ ناعمٍ، يجري فيه دَمٌ من  
نوعِ نادر. وليتجاوز عني القارئ الكريم إذا قلتُ في حق هذا  
الشاعر الكبير وقد انسَدَّتْ في حضرته أمامي طرقُ القول:

أَكَلَّمَا صارَ يَحْدُو النَّاسَ مِنْ أَمَلٍ

يُكُونُ أَحْمَدُ مُفْدِي مَضْرِبِ المَثَلِ

مَا دَبَّه المَرءُ إِذْ عَمَّتْ مَحَاسِنُهُ

قَدْ يَجْمَعُ اللهُ كُلَّ الحُسْنِ فِي رَجُلٍ

أ.د. محمد يعيش

